جامعة جنوب الوادي
كلية التربية بقنا
قسم الفلسفة والاجتماع

مقرر

علم الاجتماع

الفرقة الأولي

كلية التربية ـ قسم الفلسفة والاجتماع

أستاذ المقرر

دكتور / محمد حسن إبراهيم

قسم علم الاجتماع – كلية الآداب بقنا

العام الجامعي

2023 - 2022

بيانات أساسية

الكلية : التربية

الفرقة : الأولي

التخصص : الفلسفة والاجتماع

عدد الصفحات : 200

القسم التابع له المقرر : قسم الفلسفة والاجتماع

المؤلف : أ.د/ السيد عوض علي

الرموز المستخدمة

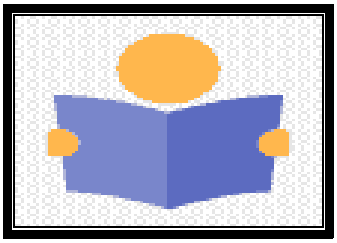

نص للقراءة والدراسة

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي

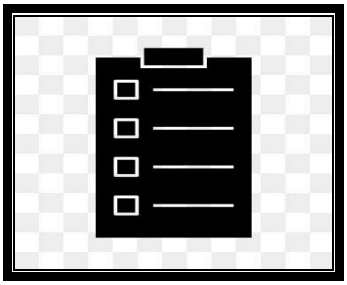

أنشطة ومهام

محتوي الكتاب

محتوي الكتاب الالكتروني	الصفحة
أولا : الموضوعات : ----------	
ثانيا : الجداول : ----------	
ثالثا : الأشكال والصور : ----------	
رابعا : روابط الفيديو : ----------	
خامسا: قائمة المراجع :----------	

أولا : الموضوعات	الصفحة
الفصل الأول: علم الاجتماع	19-7
مقدمة : ----------	8
أولاً : ماهية علم الاجتماع : ----------	10
ثانياً : موقع علم الاجتماع بين العلوم : ----------	13
ثالثاً : موضوعات علم الاجتماع : ----------	14
الفصل الثاني: تاريخ علم الاجتماع	64-20
مقدمة : ----------	21
أولا : الفكر الاجتماعي فى الشرق القديم ----------	21
ثانيا : الفكر الاجتماعي عند اليونان ----------	23
ثالثا : الفكر الاجتماعي الروماني المسيحي ----------	29
رابعا : الفكر الاجتماعي الإسلامي ----------	31
خامسا : فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ----------	58
الفصل الثالث: العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الآخري	105-65
مقدمة : ----------	66
أولاً: علاقة علم الاجتماع بالفلسفة ----------	66
ثانياً : علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا ---------- -	69
ثالثاً: علاقة علم الاجتماع بعلم النفس ----------	73

أولا : الموضوعات	الصفحة
رابعاً: علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد ----------	78
خامساً: علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية ----------	80
سادساً: علاقة علم الاجتماع بالإحصاء ----------	81
سابعاً: علاقة علم الاجتماع بالتاريخ ----------	82
ثامناً: علاقة علم الاجتماع بالفن والجمال ----------	84
تاسعاً: علاقة علم الاجتماع بالسياسة ----------	87
عاشراً: علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا ----------	91
حادي عشر: علاقة علم الاجتماع بالإدارة ----------	92
ثاني عشر: علم الاجتماع القانونى وعلاقته بعلم الاجتماع العام --	93
ثالث عشر: علم الاجتماع وصلته بعلم الطبيعة ----------	98
رابع عشر: علاقة علم الاجتماع بالبيولوجيا والفزيولوجيا ------	100
خامس عشر: علم الاجتماع وصلته بعلم الطب ----------	101
سادس عشر: علم الاجتماع وصلته بالهندسة ----------	104
الفصل الرابع: مناهج ونظريات البحث في علم الاجتماع	116-106
مقدمة : ----------	107
أولاً : مناهج البحث الاجتماعي ----------	108
ثانياً : أدوات جمع البيانات ----------	109
ثالثاً : نظريات علم الاجتماع ----------	111
الفصل الخامس التغير الاجتماعي	151-117
مقدمة : ----------	118
أولاً : مفهوم التغير الاجتماعى ----------	123
ثانياً : أنواع التغير الاجتماعى ----------	128
ثالثاً : عوائق التغير الاجتماعى ----------	132
رابعاً : عوامل التغير الاجتماعى ----------	134
الفصل السادس: المشكلات الاجتماعية في الريف والحضر	195-152
مقدمة : ----------	153
أولاً : المشكلات الاجتماعية في الريف ----------	155
ثانياً : المشكلات الاجتماعية في المدن ----------	172

أولا : الموضوعات	الصفحة
ثانيا : الأشكال والصور	
شكل 1	23
شكل 2	24
شكل 3	25
شكل 4	29
شكل 5	30
شكل 6	35
شكل 7	38
شكل 8	39
شكل 9	40
شكل 10	41
شكل 11	44
شكل 12	58
شكل 13	59
شكل 14	60
ثالثا : الفيديو	
فيديو 1	-
خامسا: قائمة المراجع	200-196
أولاً : المراجع العربية : ----------	197
ثانياً : المراجع الأجنبية : ----------	199

الفصل الأول

علم الاجتماع

- مقدمة .
- أولاً : ماهية علم الاجتماع .
- ثانياً : موقع علم الاجتماع بين العلوم .
- ثالثاً : موضوعات علم الاجتماع .

مقدمـــــــة :

لم يعد علم الاجتماع فقط علمًا مستقلًا حيث تنطبق عليه كل الخصائص العلمية الموضوعية من حيث الموضوع والمنهج والقوانين، وانما أصبح علم الاجتمـاع مولـدًا ومنبعًـا للعلـوم الاجتماعيـة والطبيعيـة علـى حـد سـواء كالأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع الاقتصادي، والديني والسياسي والجنائي، والسكاني، والجمالي، والقانوني، والأخلاقي، والريفي والحضري، والتربوي، والطبي، والهندسي، والبيولوجي .....الخ.

ولقد أصبحت دراسة الاجتماع لا غنى عنها للأفراد والجماعات خصوصًا أولئك الذين يهتمون بأحد موضوعاته المتشعبة حيث يُدَرَس في كثير من أقسام كليات الآداب والتربية والشرطة والشريعة، والدراسات الاسلامية والعربية، والخدمة الاجتماعية والكليات العسكرية والشرطية بل ، و يُدَرَس في كليات الطب والهندسة والزراعة وغير ذلك.

ويهتم علم الاجتماع بالدراسة المنظمة لأشكال التفاعل الإنساني ويتم ذلك من خلال الأحداث التاريخية والمعتقدات والتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر على الفرد والأسرة والجماعة الاجتماعية الأكبر وتتخذ العديد من المستويات المحلية والقومية والإقليمية والعالمية.

كما أن الدراسة العلمية الجادة تقتضي بحث الظواهر الاجتماعية بحثًا موضوعيًا لا دخل للعواطف ولا للأهواء الشخصية فيه، وأن ترتكز هذه الدراسة على أسس علم الاجتماع النظرية والتطبيقية فمشكلات علم الاجتماع لا تأتي كما يقول "رايت ميلز" من أن بعض الباحثين يبدأ بالفكر –صوغ النظريات – أو بالملاحظة –الاهتمام بالأبعاد الإمبريقية، ولكنها تأتي من عدم تحديد نوع الفكر ونوع الملاحظات أو العلاقات القائمة بينها.

وحيث إن العلاقات بين الزمان والمكان والثقافة تؤدي إلى نتائج اجتماعية مختلفة، فإن الضرورة تقتضي أشكالا مختلفة من البحوث الاجتماعية، فمن خلال الدراسات الأنثروبولوجية توصل الباحثون إلى أنه لا يمكن التوصل إلى قوانين عامة يمكن تطبيقها على كل البشرية. فالفرد الذي يعيش في مجتمع معين يجد نفسه خاضعا من تلقاء نفسه لما يسود في هذا المجتمع من عقائد وتقاليد ونظم، وليست هذه النظم من صنع إرادات الأفراد، بل إنها مظهر ضروري لعوامل حتمية أخذت تتفاعل فيما بينها، ويؤثر بعضها في بعض حتى انتهت إلى الحالة الراهنة، وهذه الحالة سوف تتطور تبعًا لتطور الظروف والمؤثرات التي أوجدتها.

وفي ضوء ما سبق فإنه يمكن القول أن المشروعات الإصلاحية إن لم تكن قائمة على أساس بحوث سوسيولوجية موضوعية مستفيضة متعمقة تلم بأطراف البحث من جميع نواحيه ، لن يُكتب لها النجاح ، فالتأصيل السوسيولوجي للقضايا الاجتماعية يتطلب دراسة كافة عناصر أي قضية اجتماعية ، ومدى ارتباط كل عنصر بالبناء الاجتماعي ومدى تأثيرها وتأثرها بالقضايا الأخرى .

وعلى أية حال فهناك قضية عامة مؤداها أن تقدم الأمم ورقيها يقاس بمدى اعتماد قادتها على ما يقدمه علم الاجتماع من قضايا حول كافة الأمور في المجتمع. وآمل أن يكون هذا الكتاب اسهامًا متواضعًا من الكاتب في الدراسات السوسيولوجية .

أولاً : ماهية علم الاجتماع : (ما هو علم الاجتماع) :

لقد حاول كثير من علماء الاجتماع تحديد مفهوم ثابت يمكن من خلاله تعريف هذا العلم . ويمكن القول أن تعريفاتهم لعلم الاجتماع تدور فى إطار ثلاثة محاور رئيسية وهى كما يلى :

المحور الأول :

وهى تلك التعريفات أو المفاهيم التى تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع . Sociology is the science of society study

ومن أشهر العلماء الذين عرفوا علم الاجتماع بأنه علم دراسة المجتمع جورج لندبرج ، ورينية مونيية وايلى سنوى ولستروارد .

ويمكن تعريف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تربطهم ببعضهم عادات وتقاليد ودين ولغة وارض ، بل وتاريخ مشترك وأهداف واحدة تنظم علاقاتهم مع بعضهم البعض .

المحور الثانى :

ويتعلق بالمفاهيم التى تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية Sociology is the science of social phenomenon study

ومن أشهر علماء الاجتماع الذين اهتموا بتحديد مفهوم علم الاجتماع على اعتبار أنه علم دراسة الظواهر الاجتماعية ، أميل دور كايم وموريس جينزبرج .

والظاهرة الاجتماعية كما حددها دور كايم بأنها " كل ضرب من السلوك، ثابت أو غير ثابت ، ويمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجى على الأفراد " أو هى " سلوك يعم المجتمع بأسره ، وكان ذو وجود اجتماعى مستقل عن الصور التى تتشكل بها فى الحالات الفردية .

ومن تعريف دور كايم السابق للظاهرة الاجتماعية يمكن القول أن للظاهرة الاجتماعية ثلاث مكونات أساسيه هى كما يلى :

1 – تعد الظواهر الاجتماعية بمثابة نظم اجتماعية قائمة ، وهذا يعنى أن الظواهر الاجتماعية تعد بمثابة سلوكيات جماعية يتم التعبير عنها فى صورة تنظيمات وممارسات لها صفة القهر والإجبار .

2 – أن الظواهر الاجتماعية تتكون من الرموز الجماعية والقيم والمثل والأفكار . فالظواهر الاجتماعية تعد بمثابة أنساق من القيم .

3 – أن الظواهر الاجتماعية تتكون من حالات الضمير الجمعى وهى الآمال والتخيلات أو الصور الجماعية ، التى ترد على الضمير الغيرى الإيثارى ، والتي تمثل القاعدة التى يرتكز عليها أي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية. فالظواهر الاجتماعية توجد خارج الفرد . وتأتى إلى عقلة كشيء خارجى فى صورة قواعد دينية أو قانونية أو أخلاقية أو منطقية . وطالما أنها تكون مصحوبة عادة بقوة قهرية إجبارية فإن ذلك يساعدها على أن تعرض نفسها على الفرد بصرف النظر عن رغباته الفردية .

المحور الثالث :

ويتعلق هذا المحور بالتعريفات أو المفاهيم التى تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم نظري تجريبى موضوعي .

ومن اشهر علماء الاجتماع الذين عرفوا علم الاجتماع بأنه علم نظري موضوعي تجريبى كل من جون ركس وداتكن ميتشل .

فعلم الاجتماع علم نظري ذلك لأنه فى دراسته للظواهر الاجتماعية يهدف إلى المعرفة العلمية حيث أن الباحث السوسيولوجى يهدف من وراء دراساته إلى اكتشاف الحقائق ، ومدى انتظام حدوث الظواهر فى الحياة الاجتماعية ، بغض النظر عن استخدام هذه الحقائق فى التطبيق العملي ،

فالباحث السوسيولوجى يسعى إلى التوصل للنتائج العلمية ولا يهتم بتطبيق هذه النتائج على المجتمع حيث أن مهمة التطبيق العملي تقع فى دائرة اختصاص العلوم الاجتماعية التطبيقية .

وعلم الاجتماع علم تجريبى حيث أن علم الاجتماع لكى يكون علما بالمعنى الدقيق فلا بد أن يكون علما تجريبا مثل غيره من العلوم الطبيعية مثل (الكيمياء والفلك والطبيعة) حيث انه بدون هذا التجريب سيصبح علم الاجتماع نوعا من الفلسفة أو فلسفة التاريخ .

ويقصد بالتجريب فى علم الاجتماع ما يلى :

1 – عدم التسرع فى الحكم على نتائج الظواهر الاجتماعية دون ملاحظتها .

2 – ضرورة الاعتماد على طرق ومناهج وأدوات بحث علمية فى الوصول إلى أية نتائج عن أية ظاهرة اجتماعية .

3 – عدم كتابة أو قول أي شئ عن أية ظاهرة إجتماعية دون كشف أو إثبات، وعن طريق الحقائق نفسها .

وعلم الاجتماع علم موضوعي حيث أن الباحث السوسيولوجى يجب أن يكون غير متحيز أو متعصب عند دراسته لمشكلة معينة ، أو عند ملاحظته للظواهر الاجتماعية وترددها . ويجب على الباحث السوسيولوجى أن يتخلى تماما عن النظرة الذاتية ، ويتخلى أيضا عن التحيز أو التعصب لدين أو وطن أو طبقة أو أيديولوجية معينه دون أخرى وذلك فى أثناء دراساته لأية مشكلة اجتماعية .

والهدف من دراسة علم الاجتماع فهم المجتمع الذى نعيش فيه من أجل الإسهام فى حل مشكلاته والتزود بالمهارات اللازمة لمعالجة قضاياه الاجتماعية .

ثانياً : موقع علم الاجتماع بين العلوم :

على الرغم من الأهمية الواضحة لعلم الاجتماع فى انه يعود بالفائدة على الفرد والجماعات والمجتمع إلا أنه تعرض لكثير من الجدل والنقاش محوره الشك فى إمكان إثبات هذا العلم كعلم صحيح يتبع الطريقة العلمية الوضعية فى دراسة الظواهر الاجتماعية . والأمر هنا يتطلب توضيح معنى العلم وما إذا كانت حقائق علم الاجتماع يمكن تحصيلها بالطريق العلمي .

فالبحوث التى يتناولها الفكر الإنساني نوعين :

1 – بحوث علمية 2 – بحوث فنية .

والعلم هو كل بحث يهدف إلى دراسة مجموعة من الظواهر لتوضيح حقيقتها وكمية عناصرها واستخراج القوانين والقواعد التى تفسرها.

أما الفن فهو كل بحث يهدف إلى توضيح الوسائل والأساليب التى ينبغى اللجوء إليها للوصول إلى الغايات العملية .

والفارق هنا هو أن العلم يعد بمثابة نظرية وصفية تحليلية تهدف إلى شرح ما هو كائن أو ما هو قائم بالفعل . أما الفن فهو يعد بمثابة عملية تطبيقية تهدف إلى بيان ما ينبغى أن يكون .

والفنون بصفة عامه نوعين :

(1) فنون يقينية :

وهى تلك البحوث الفنية المرتكزة على بحوث علمية ومستمدة منها، وذلك مثل فن الطب الحديث فإنه يرتكز على علم الفسيولوجيا ، وكفنون التربية فإنها ترتكز على بحوث علم النفس .... الخ .

(2) فنون غير يقينية :

وهى ما كانت بحوثها الفنية غير مرتكزة على بحوث علمية وذلك كفنون السحر والشعوذة والطب القديم ، وما على ذلك من الفنون التى تقر فيما تقرره على الأساطير والخرافات .

أما العلوم فهى تنقسم إلى ثلاث طوائف رئيسية :

1 – العلوم الرياضية : كالجبر والحساب والهندسة والتى تهتم بالأعداد الكمية.

2- العلوم الطبيعية : كالفلك والجيولوجيا والحيوان والنبات والكيمياء وهى التى تهتم بدراسة ظواهر الكون سماوية أو أرضية .

3 – العلوم الإنسانية : وهى التى تهتم بشئون الإنسان والمجتمع الإنسانى وتنقسم إلى نوعين :

أ : علوم فردية : تدرس الإنسان كفرد كالأنثروبولوجيا والفسيولوجيا والسيكولوجيا .

ب : علوم اجتماعية : وهى تدرس الإنسان من حيث هو عضو فى المجتمع كعلوم الإقتصاد والحقوق السياسية والأخلاق والأديان .

ثالثاً : موضوعات علم الاجتماع :

يهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وصفية تحليلية والغرض منها الوصول إلى الوظيفة التى تؤديها هذه الظواهر والنظم والقوانين التى تحكمها .

والظواهر الاجتماعية هى تلك الظواهر التى تنجم عن تجمع الناس معا وتفاعلهم بعضهم مع بعض ودخولهم فى علاقات تبادلية وتكون ما يطلق عليه الثقافة المشتركة أي الاتفاق على أساليب معينه للتعبير عن أفكارهم ورموز معينة تؤدى إلى دلالات محددة ، كما أنهم يتفقون على قيم محددة وأساليب معينة للتعاون الاقتصادي .... الخ .

ومن أهم الخصائص التى تتسم بها الظواهر الاجتماعية :

(1) الموضوعية والشيئية والخارجية :

فالظواهر الاجتماعية ليست إحساسا أو شعورا داخليا أو خيالاً وإنما هى حقيقة موجودة بصورة واقعية خارج كياننا الذاتي ويمكن دراستها بصورة ما باعتبارها شيئا يشغل حيزا فى الزمان والمكان . فنحن كباحثين فى علم الاجتماع لا نتعامل مع ما ينبغى أن يكون وإنما نتعامل مع ما هو موجود أو قائم فإن بحوثنا تدور حول ظاهرة الزواج وليس الأفراد المتزوجون . فظاهرة الزواج شئ والأفراد المتزوجون شئ آخر . فالظاهرة توجد فى كل مجتمع وتنتقل من جيل إلى جيل دون أن تتأثر بتغير الأفراد.

وقد قرر دور كايم هذه الصفة قال يجب دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها أشياء قاصدا بذلك أن يقوم الباحث بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية بعيدة عن الأفكار السابقة ووجهات النظر الخاصة . فهى أمور واقعية لا يمكن أن تمتزج بميولهم وغرائزهم . فالظاهرة الاجتماعية مستقلة عن الأفراد بحيث يمكن ملاحظتها كأشياء منفصلة عن الحياة الفردية ،

وبالتالى يمكن دراستها دراسة موضوعية إذا ما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأحصائى .

(2) التلقائية :

فالظواهر الاجتماعية تنشأ عادة بصورة تلقائية لإشباع الحاجات الضرورية ، فهى ليست من صنع الفرد ولكنها تنبثق من تلقاء نفسها تلبية حاجات العمران والاجتماع الإنسانى ولهذا فهى من خلق المجتمع أو من صنع العقل الجمعى . فالظواهر الاجتماعية لا تدين بوجودها لفرد لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد .

إلا أن تطور الظواهر الاجتماعية يختلف فى بعض الأحيان فمنها من يتطور بصورة تلقائية كالظواهر المتعلقة بنظام الأسرة ونظام الفن ونظام اللغة. ومنها من يتطور بطريقة شعورية عقلية مقصودة وتسير وفقا لخطة مرسومة كالظواهر المتعلقة بالنظم الاقتصادية والقضائية .

(3) الإلزام والجبرية والقهرية :

للظواهر الاجتماعية قوة تفرض نفسها على الأفراد وتوجب كل منهم أن يسير حسب تعاليمها سواء إتفق ذلك مع رغبته الفردية أم لم يتفق. رض1ى أم كره فهو مجبر على الأخذ بها ، ومن يخرج عليها يلقى مقاومة عنيفة بالجزاء المادى أو التحقير الاجتماعى . فإذا اعتدى شخص على آخر تعرض لطائلة القانون ، وإذا افطر شخص فى شهر رمضان تعرض لسخريه الجماعة وتهكمها . فمن يحاول الخروج على طبيعة الحياة فى مجتمعة بما يحيوه من نظم وظواهر اجتماعية عليه أن يتحمل الجزاء الذى وضعه المجتمع لكل من يخالف نظمه وقيمه .

وعلى الرغم مما تمارسه الظواهر من قهر وإلزام على الأفراد إلا أن هذا الإلزام أو القهر محبب إلى النفس حيث إن التنشئة الاجتماعية تعمل على

ترويضها لتقبل الوضاع الاجتماعية والتمسك بمعايير المجتمع بما تجعلنا نجد أنفسنا مدفوعين إلى إحترامها وصيانتها .

وهذه الخاصية يسميها بعض العلماء بالجاذبية تلك التى تخفف شعور الأفراد بجبريه وإلزام الظواهر الاجتماعية .

(4) النسبية :

تتميز الظاهرة الاجتماعية بالنسبية فهى لا تسير على نمط واحد فى كل المجتمعات وإنما تتباين وتختلف فى المجتمع الواحد طبقا لبعد الزمان وتختلف كذلك بين مجتمع وآخر طبقا لبعد المكان وهذا كله فى ضوء معايير وقيم المجتمع حيث نلاحظ تباين أشكال الظواهر الدينية مثلا بإختلاف المجتمعات فمنها من يأخذ بوحدانية الإله ، ومنها من يتجه إلى التعدد ، ومنها من يعبد الشمس أو البقر ... الخ . كما نلاحظ حاليا التباين فى أشكال ظاهرة الزواج فهناك بعض المجتمعات تأخذ بنظام تعدد الأزواج وهو نظام موجود ومقبول عند بعض أقوام الإسكيمو ولدى أقوام الباهيما فى وسط أفريقيا . ولماذا نذهب بعيدا ففي إسرائيل نظام اقتسام أو تبادل الزوجات وهو نظام معلن فى عديد من وسائل إعلامها .

(5) العمومية :

تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها عامة ومنتشرة ويشارك فيها مجموعة كبيرة من أفراد المجتمع فهى ليست من الأمور الفردية التى يختص بها الأفراد مثل الظواهر النفسية المتعلقة بالإدراك والوجدان والنزوع .

فالظاهرة الاجتماعية ظاهرة تاريخية سابقة الوجود على الوجود الفردي فالفرد يولد فى الحياة وتقوم الأسرة بتنشئته اجتماعيا وعلى أن يكون مواطنا صالحا فاضلا وتكيفه وفقا للأوضاع والأساليب والظواهر الاجتماعية . ولعل ذلك يجيب على التساؤل الذى يراودنا كثيرا ومؤداه هل الفرد سابق فى وجوده

على المجتمع أم المجتمع سابق فى وجوده على الفرد ؟ ولماذا ؟ من وجهة نظري أرى أن المجتمع سابق على الفرد فحينما دبت الحياة البشرية على هذه الأرض بان خلق الله سبحانه وتعالى آدم وخلق حواء من ضلع آدم وجدا أمامهما نظاما اجتماعيا . ومن وجهة النظر السوسيولوجية فان وجود الكيان الجمعى سابق على وجود الفرد فنحن نتعلمه بعد الولادة من الأسرة وباقي المؤسسات فالمجتمع أستاذ الفرد ومعلمه الأول .

(6) الترابط والتساند والتكامل :

تمتاز الظواهر الاجتماعية بالترابط حيث يؤثر بعضها فى البعض الآخر ويفسر بعضها البعض الآخر ، فهى لا تعمل منفردة ولا يمكن دراستها منعزلة فكل ظاهرة اجتماعية تؤثر فى الظواهر الاجتماعية وتتأثر بها فى الوقت نفسه، وكل تغير فى أية ظاهرة يؤثر فى غيرها من الظواهر . فمثلا الظاهرة الاقتصادية من حيث الدخل تؤثر فى الأسرة من حيث مستوى المعيشة كما أن الظواهر الاقتصادية مرتبطة أشد الإرتباط بالأوضاع السياسية والأخلاقية والتربوية . كما أن الظاهرة الاقتصادية تؤثر على ظاهرة التدين فيكثر مثلا عدد الحجاج وتزداد المشروعات الخيرية ... الخ ، كما أن الدين يؤثر فى الحالة الاقتصادية فمثلا للدين تأثير كبير فى القوة الشرائية على بعض السلع فى إطار عملية التحليل والتحريم . فالهند هناك البعض يحرم لحوم البقر ، وتحرم الدول الإسلامية لحوم الخنزير وشرب الخمر فتقل أسعارها .

قدم تحليلاً سوسيولوجياً لأوجه الترابط والتداخل بين الظواهر الاجتماعية المختلفة ... مع ذكر أمثلة علي ذلك ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الثاني

تاريخ علم الاجتماع

- مقدمه .
- أولا : الفكر الاجتماعي فى الشرق القديم .
- ثانيا : الفكر الاجتماعي عند اليونان .
- ثالثا : الفكر الاجتماعي الروماني المسيحي .
- رابعا : الفكر الاجتماعي الإسلامي .
- خامسا : فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع .

مقدمـــــة :

نشأ علم الاجتماع بين أحضان الفلسفة ، وقد إستقل عنها حينما أكتمل عودة ووصل إلى مرتبة العلم المستقل ، وكانت له مجالاته الخاصة وقوانين دقيقة كغيره من العلوم ، وله مناهج علمية قائمة على الملاحظة والتجربة وفرض الفروض ومحاولة اختبارها ، واستطاع العلماء المحدثون التوصل على نتائج وقوانين أمكن صياغتها في صور كمية بل ومعادلات رياضية ورسوم بيانية عن الحياة الاجتماعية بأدق النتائج .

وإذا ما حاولنا تتبع تطور الفكر الاجتماعي فإن بعض المفكرين ذهبوا إلى القول بان بدء تاريخ الدراسات الاجتماعية يقترن بدراسة الفلسفة اليونانية بإعتبارها أول صورة للتفكير الإنسانى المنظم غير أن التسليم بهذا يهضم عظمة الفلسفة الشرقية وهى سابقة فى ظهورها على فلسفة اليونان ، فبلاد الشرق كانت بمثابة التربه الخصبة والأصلية التى نبتت فيها بذور الفلسفة ثم انتقلت إلى بلاد اليونان حيث نمت وإزدهرت .

أولا : الفكر الاجتماعي في الشرق القديم :

لم يحظ هذا الفكر بقدر من الاهتمام الذي خطى به الفكر الغربي القديم وذلك لسببين هما :

1- تعمد علماء الغرب تجاهل هذا الفكر تحت تأثير التعصب والرغبة في إظهار أصالة الفكر الغربي وحده دون غيره .
2- جهل علماء الغرب بلغات دول الشرق القديم كالفرعونية والفارسية والصينية القديمة .

ففي مصر القديمة عرف الفراعنة أدق نظم الحكم ووضعوا من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكثير . وفى الهند ظهرت صور مختلفة من العادات والتقاليد والعقائد التى كان لها

تأثيرها على أنماط السلوك وأساليب التفكير الاجتماعي والسياسي ، وفى الصين القديمة ظهرت طوائف من الحكماء والفلاسفة الذين درسوا موضوعات تدخل فى صميم الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية حيث نجد فلسفة كنفوشيوس حكيم الصين التى لا زالت تعد من بين الفلسفات الإنسانية التى تحاول أن تضع حلولا عملية للمشكلات التى يعانى منها أفراد المجتمع .

إلا أن هذه الأفكار الفلسفية للشرق القديم كانت أشبه بتأملات فلسفية ينقصها النزعة التحليلية كما أنها كانت مفككة غير مرتبطة بنظام معين بعكس فلاسفة اليونان الذين إستطاعوا أن ينظموا معارفهم تنظيماً منهجياً موضوعياً فبدأ تفوقهم على فلاسفة وحكماء الشرق القديم .

ثانيا : الفكر الاجتماعى عند اليونان :

يعد هذا الفكر ذا أثر عظيم فى العالم القديم وفى أوربا وغيرها فى العصور الوسطى كذلك ، ولقد وجد فى اليونان القديمة ثلاثة من أعظم مفكرى ذلك العصر سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطو وكان الأول أستاذ الثانى ، والثانى أستاذ الثالث .

(1) سقراط (469 – 396 ق . م) :

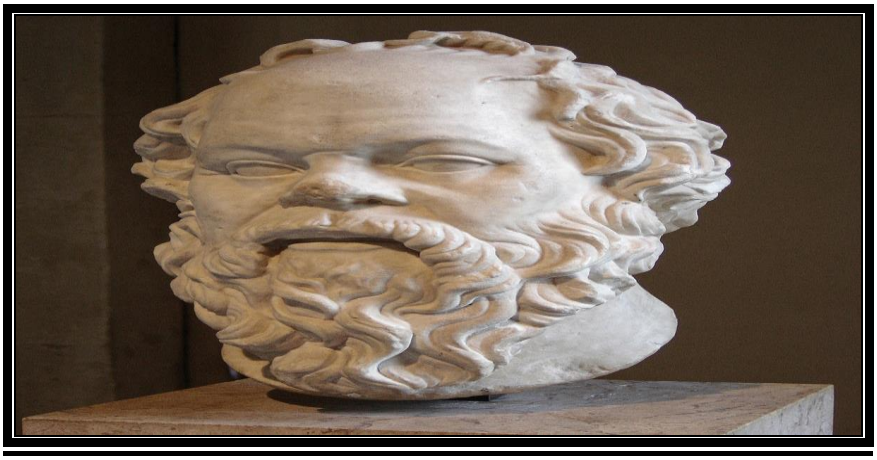

شكل (1)

لقد أكد سقراط على ضرورة وجود معايير ثابتة للأقطار والقيم الاجتماعية ومنها إعتبار الفضيلة وسطا بين رذيلتين ، وقد حاول فى معرض حديثة عن الفضيلة والرذيلة التعرض إلى أسباب السلوك المنحرف وذهب إلى أن الفرد لا يقدم على فعل الشر عن وعى وإدراك كاملين ، وإنما يتم ذلك نظراً للجهل وإنعدام البصيرة ولو عرف الإنسان الفضيلة لأقدم عليها ، فالجهل أسباب الرذيلة وأساس السلوك المنحرف ، أما السلوك السوى فمرده إلى العلم .

كما كان لسقراط اتجاه تجريبى فى البحث الاجتماعى من خلال الحوار واستطلاع أوجه النظر بحيث تنتهي الآراء المتناقضة وتستقر على قاعدة واضحة المعالم .

لـم يكتـب سـقراط شـيئاً ، إلا أن تعاليمـه تسـتخلص ممـا كتبـه تلميـذاه زينوفون وأفلاطون ، فـالأول وضـح تـاريخ حياتـه ، وفند إنتقادات خصـومه ، والثانى شرح أراؤه السياسية والاجتماعية ولكنه صاغها بأفكاره الشخصية .

(2) أفلاطون (427 – 347 ق . م) :

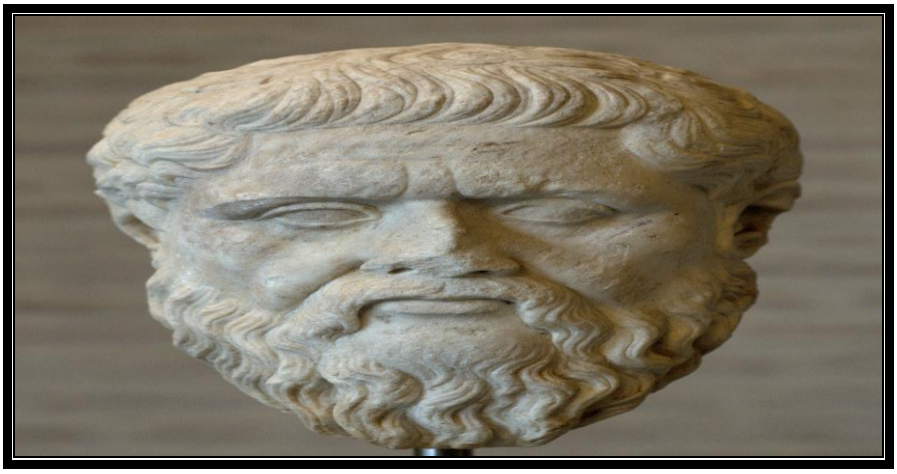

شكل (2)

قرأ أفلاطـون كتـب الفلسفة واستمع إلـى أحـد أتبـاع هيـراقليطس ، ولمـا نـاهز العشرين من عمره عرف سقراط واعجب به ولزمه إلى النهاية ثماني سنوات، ثم سافر إلى عديد من دول العالم ومنها مصر وقضى بها ما يقرب من العام . وعلى الرغم من انتساب أفلاطون إلى الطبقة الأرستقراطية ، وأن نشأته كانت فى بيت من الحكام وكان أجداده من الملوك والمشرعين إلا أن أفلاطـون كره المجتمع الأثينى وعاب عليه تفانيه فى حب المادة ، هذا فضلا عن أن المجتمع الأثينى كان يعيش فى مشكلات عديدة نتيجة سيطرة أسبرطة على أثينا فعاشت فترة من حكم الطغاة استعادت بعدها النظام الديمقراطى .

ولقد عرض أفلاطون معظم آرائه فى كتابه " الجمهورية " وكـان يهدف من عرضه لهذا الكتاب إلى وضع أسس للمدينة الفاضلة تلك المدينة التى تخلو

من الشرور والآثام وتظلها العدالة والمساواة ، ترفرف عليها الفضيلة من كل جانب ، وتشرف عليها طبقة الفلاسفة ، فالمجتمع عنده ينقسم إلى ثلاث طبقات:

1 – طبقة الفلاحين والصناع وهى تأتى فى أدنى السلم الاجتماعى ومهمتها تأمين المجتمع وضمان حياة الطبقتين التاليتين . وهى الطبقة الوحيدة التى يحق لها التملك وتكوين أسرة .

2 – طبقة الجند .

3 – طبقة الفلاسفة والحكام .

ويرى أفلاطون أن الطبقتين الثانية والثالثة لا يحق لها التملك أو تكوين أسرة حيث أن مهمتها الأساسية هى إدارة شئون المجتمع وحمايته.

وفى تصور أفلاطون أن كل طبقة من هذه الطبقات يجب أن تتحلى بفضيلة معينة وذلك لكى يقوم هذا البناء الطبقى بوظائفه ، فطبقة الحكام يجب أن تتحلى بفضيلة الحكمة والفطنة ، أما طبقة الجند فيجب أن تتحلى بفضيلة الشجاعة وحب المخاطرة ، وأخيراً فإن طبقة العمال يجب أن تتحلى بفضيلة الاحتمال والتعفف .

(3) أرسطو (384 – 323 ق . م) :

شكل (3)

هو تلميذ أفلاطون واستاذ الأسكندر الأكبر ويطلق على ارسطو اسم " مؤسس علم ما قبل علم الاجتماع " لأنه كان أول باحث فى العصور القديمة يلجأ على المنهج الاستقرائى أى جمع المعلومات ثم ترتيبها واستنتاج عدد من القواعد العامة منها أى القيام بما نسميه اليوم المسح الاجتماعى .

إن التراث الذى تركه أرسطو كان له أثر على كثير من العلوم الاجتماعية ولذا فنحن العرب نطلق عليه المعلم الأول احتراما لعلمه وتقديراً لمكانته .

ويمكن تلخيص فلسفة أرسطو من الناحية العلمية فى أربعة آراء هى :

الأول : البحث عن الإنسان من حيث هو كائن اجتماعى وسياسى وهذا هو الجانب الاجتماعى والسياسى .

الثانى : البحث عن الإنسان من حيث أنه عضو فى جماعة له حقوق وعليه التزامات وهذا هو علم الأخلاق .

الثالث : البحث عن الانسان من حيث أنه مفكر وهذا هو علم المنطق .

الرابع : البحث عن الانسان من حيث أنه مفكر يريد أن يعبر عما يجول فى خاطره من صور وحكم وهذا هو علم البيان .

وعلى الرغم من أن أرسطو يعد تلميذاً لأفلاطون إلا أنه يختلف عن أستاذه حيث أكد أرسطو على الجوانب العملية الواقعية فى حين أن تأكيد أستاذه كان ينصب على الجوانب المثالية . حيث أن أفلاطون أطلق عليه الفيلسوف الواقعى .

ولقد أشار أرسطو على عديد من القضايا نذكر بعضاً منها :

1 – إن الانسان كائن اجتماعى سياسى بطبعه . فالإنسان مرتبط تمام الارتباط بالحياة فى مجتمع ولا يمكن فهم الانسان بمفرده معزولا عن الإطار الاجتماعى .

2 – أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع أو الوحدة الاجتماعية الأولى حيث يرى أرسطو أن الأسرة تتكون من الزوج والزوجه والأبناء والعبيد . الزوج هو رب الأسرة لأن الطبيعة وهبته العقل الكامل أما الزوجة فهى ربة البيت وأقل عقلا من الرجل . والأبناء هم الاستمرارية فى الأجيال المقبلة، أما العبيد فهم ضرورة اجتماعية وهم اقل قدره من حيث العقل ومهمتهم هى خدمة أفراد الأسرة .

وعلى ذلك فإن أرسطو فرق بين الناس ، بين الرجل والمرأة ، وبين السيد والعبد . وهو يرى أن هناك ثمة فروق بين الشعوب حيث يرى أن شعوب الشمال الجليدى تتسم بالشجاعة ولكنهم خلو من الذكاء وأن شعوب الشرق تتسم بالذكاء ولكنهم خلو من الشجاعة أما الشعب اليونانى فقط هو الوحيد الذى يجمع بين الشجاعة والذكاء .

3 – أن المجتمع كائن حى يخضع لقانون الولادة والنمو والموت وهذا معناه أن التغير هو الشرط الوحيد لحياة المجتمعات .

4 – أن الدولة هى الارتباط السياسى للمدينة .

5 – أن القوانين هى وسيلة الدولة فى تنظيم حياة المواطنين .

6 – أن العدالة لا تتحقق إلا بواسطة تطبيق القانون الأخلاقي الذى يدور حول الفضيلة والمساواة الاجتماعية .

7 – اشتهر أرسطو كذلك بنظريته فى الوسط أو ما يسمى أحياناً الوسط السعيد فهو يرى أن السعادة هى الفضيلة وأن الفضيلة وسط بين إفراط وتفريط . فمثلا الشجاعة وسط بين طرفين بين الجبن والتهور وكلاهما رذيلة . والكرم وسط بين طرفين التقتير والإسراف وكلاهما رذيله والحلم وسطا بين طرفين هما الغضب والتبلد . والفضيلة ليست أمر فطريا ولكن يتعلمها الانسان كما يتعلم أى فن .

8- كما أشار أرسطو إلى أهمية الفن وخاصة المسرح والشعر المسرحى واعتبر أن المسرح مجال للتنفيس عن مشاعر الانسان مثل الخوف والغضب والحزن وهذا التنفيس يتم أثناء مشاهدة الأعمال المسرحية وما تزخر به من مواقف تزدحم فيها هذه المشاعر ، فإذا شاهدها الشخص على المسرح واندمج فيها فانه يتخفف من ضغط المشاعر عليه .

9- يرى أرسطو أن الإنسان يتكون من مادة وصوره المادة هى جسمه والصورة هى نفسه وحيث لا وجود لمادة فقط أو صوره فقط فكذلك لا يوجد إنسان بجسم فقط أو نفس فقط .

ثالثا : الفكر الاجتماعى الرومانى والمسيحى :

1- القديس أوغسطين :

شكل (4)

عالج القديس أوغسطين فى كتابه مدينة الله عديد من الموضوعات مثل الحق الطبيعى ، والحق الإلهي والاتجاه الإنساني ودور العقيدة الدينية فى تدعيم العلاقات الإنسانية وتقويمها على أساس من المبادئ الأخلاقية.

أهم أفكاره :

1) ان نظام الملكية مصدرة قدسي وضرورة قيام الدولة بالحفاظ على هذا النظام .
2) ان نظام الرق يعد نظاما ظالما من وجهة نظر الإنسانية الخالصه . بينما يعد نظاماً طبيعياً يتمشى مع العدل الإلهي بوصفة نتيجة لخطيئة الانسان وانه يوقع الجزاء الرادع على البشرية .

2- القديس توماس لاكوينى (1225 : 1274) :

شكل (5)

أهم القضايا التي تناولها هى أن المجتمع الديني يقوم على ثلاثة أفكار :

1 – أن الإنسان اجتماعى بطبعة وأن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للانسان لكى يحقق اغراضه .

2 – أن المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الآمال المشتركه التى يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم .

3 – لابد من وجود سلطه عليا لكى توجه المجتمع نحو الصالح العام كما يرى أن الظروف المناخية لها آثر على العادات والتقاليد حيث سمو المناطق المتوسطة والمعتدلة . تفوق الشعوب المسيحية عن عداها أن السلطة الكنسية يجب أن تسبق السلطة السياسية .

رابعاً : الفكر الاجتماعى الإسلامى :

لقد ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، وقد أرسل الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، بشيراً ونذيراً وجاءت رسالة الإسلام تحقق للناس – كل الناس ، فى كل زمان ومكان – الخير فى الدنيا والآخرة ، وما فرط الله تعالى فى كتابة الكريم من شئ ، فهو مبدع الكون خالق الناس ، ومنظم المجتمع . وهو – جل جلاله – العارف بطبيعة مخلوقاته المدرك لكل ما فيهم من نزعات وصفات ، وعلى أساس طبيعتهم ، رسم طريق الخير والإسعاد وكانت رسالة الإسلام كاملة فى كل جانب من جوانبها . ومن أهم سمات المنهج الإسلامى فى الفكر الاجتماعى ما يلى :-

1- النظرة المتكاملة للمجتمع الإنسانى :

حيث ينظر الإسلام إلى المجتمع نظرة متكاملة ، تهتم بتنظيم الحياة كلها ، بما اشتملت عليه من جوانب روحيه وعقليه ومادية معاً ، فالإسلام نظم الأمرين بدقة كاملة ، أمر الآخرة وأمر الدنيا ، فى تلاؤم عظيم فهو فى الوقت الذى نظم صلة المخلوق بالخالق عابداً شاكراً لنعمة ، نظم صلة الفرد بالمجتمع، وبين أسلوب التعامل بين الناس ، وحق الفرد على الفرد ، بل وحق الجماعة أيضاً على الفرد . وأمتد النظر المتكامل إلى كل جانب أخلاقى وتشريعى وإقتصادى معاً . ودعاً الإسلام الناس إلى العمل ، وحيث على ضرورة التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (سورة القصص – الآية 77).

2- الدين الإسلامى هو دين المجتمع الإنسانى :

فلقد جاء الإسلام للناس كافة ، حيث ، يقول تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) " سورة سبأ – الآية 28 " .

وذلك لأنه دين الفطرة ، وما أرسل الله رسوله صلوات الله عليه إلا رحمة للعالمين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) " سورة الأنبياء – الآية 1.7 ".

ولأن الشريعة الإسلامية ، بكل ما إتسمت به من تكامل تحقق التوازن والخير فى حياة كل مجتمع ، ومن ثم ، كانت شريعة الإسلام بحق صالحة لكل زمان ومكان .

ولقد كانت الرسل قبل محمد – صلوات الله عليه – يرسلهم ربهم إلى أقوامهم، كل يذهب إلى جماعته لهدايتهم ، فإن نوحاً أرسل إلى قومه ، قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) " سورة هود – الآية 25 ".

وأرسل شعبياً إلى مدين . قال تعالى ك (وإلى مدين أخاهم شعيباً) . " سورة الأعراف – الآية 85 وكذلك سورة – هود الآية 84 " .

وأرسل الله تعالى صالحاً إلى ثمود ، قال تعالى : (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) " الأعراف – الآية 73 " .

وأما رسالة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنها جاءت لكل المجتمعات البشرية . أنه دين المجتمع الإنسانى كله .

2- صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان :

فالشريعة الإسلامية تتجه عادة إلى قواعد والنظم الأساسية التى تقوم عليها دعامات الحياة الاجتماعية ، وهى القواعد التى ينبنى عليها أى نظام اجتماعى، فى أى مجتمع فى أى زمان ومكان ، دون أن ينغلق باب الإجتهاد ، أى باب التطور الذى لا يخل بسلامة القواعد الأساسية ، ويحفظ فى نفس الوقت تيار الحياة الاجتماعية ليظل جاريا ، نقيا فى المسرى القويم . إنك لترى بالفعل أن رسالة الإسلام جاءت منظمة أدق تنظيم فى الحياة الاجتماعية ، فى كل جانب ، فى حياة الأسرة ، وفى الحياة الاقتصادية . والسياسية والتربوية وغيرها .

4- اتباع الأسلوب العلمى فى البحث :

حيث يدعونا الإسلام إلى ضرورة إتباع الأسلوب العلمى فى البحث وإمعان الملاحظة ، والكشف عن سنن الله فى خلقه فتتعرف عليها ، ونسير فى حياتنا على هديها ، وأن الله ليدعونا دوما إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، ويصف من يفعل ذلك أنه من أولى الألباب " يقول تعالى " :

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات الأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماًَ قعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) " سورة آل عمران – الآيتان 19 ، 191 " .

كما أن الله تعالى بحثنا على طلب البراهين المفضية إلى إقامة الدليل فيقول الله تعالى :

(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) " سورة النمل – الآية 64 ".

(أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) " سورة الأنعام – الآية 5 ".

رواد الفكر الاجتماعى الإسلامى :

سنذكرها هنا بعض رواد الفكر الاجتماعى الإسلامى الذين كان لهم بعض الاجتهادات الخاصة فى الفكر الاجتماعى ومنهم :

(1) البلاذرى (توفى عام 279 هـ) :

هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى البلاذرى نشأ ببغداد فى أواخر القرن الثانى من الهجرة ، واختار الثقافة والتهذيب ، وأخذ عن كبار علماء بغداد وأدبائها ، وبعد أن ذاع أسمه تاقت نفسه إلى الرحلة فى الشرق ، للازدياد من الثقافة . قال إبن النديم ، أنه زار جميع المدن الواقعة فى شمال الشام ، ثم تحول منها إلى البلاد الواقعة ما بين النهرين وهى المسماة بالجزيرة ... وأنه كان يجمع فى كل سياحته الروايات المحفوظة بين سكان تلك الاصقاع ليقارنها بما حفظه عن علماء بغداد .

وأن ما يهمنا من أمره من حيث مكانته فى الدراسة الاجتماعية هو أنه أهتم – كما أهتم كل المفكرين الاجتماعيين من العرب بالتاريخ – فاشتغل بتأليف جامع لتاريخ الدول الإسلامية . وألف كتابه المشهور " فتوح البلدان " بيد أنه لم يكن ينقل الرواية التاريخية دون تمحيص ، فقد فعل ما قاله من بعد إبن خلدون بقياس الغائب عن المشاهد . أى أنه فى ملاحظاته التاريخية كان يهتم بمحاولة الوصول إلى الحقيقة والواقع ، يقول عنه مسيو " دوجويه " :

" يؤخذ فى كثير من مروياته فى مؤلفه أنه لم يقصر قط فى هذه المرويات فكانت محلاً للثقة ، جديرة بالتصديق ، فإنه لم يكتف بسماعه إياها من أوثق علماء بغداد ، بل كان يتكبد الأسفار ويجوب البحار بحثاً عن الحقيقة التى هى ضالته المنشودة " .

ومن أجل هذا يعتبر البلاذرى من المفكرين المسلمين الذين مهدوا الطريق للنهج العلمى فى البحث الاجتماعى والتاريخ ووضعوا أهم لبناته.

(2) الفارابى :

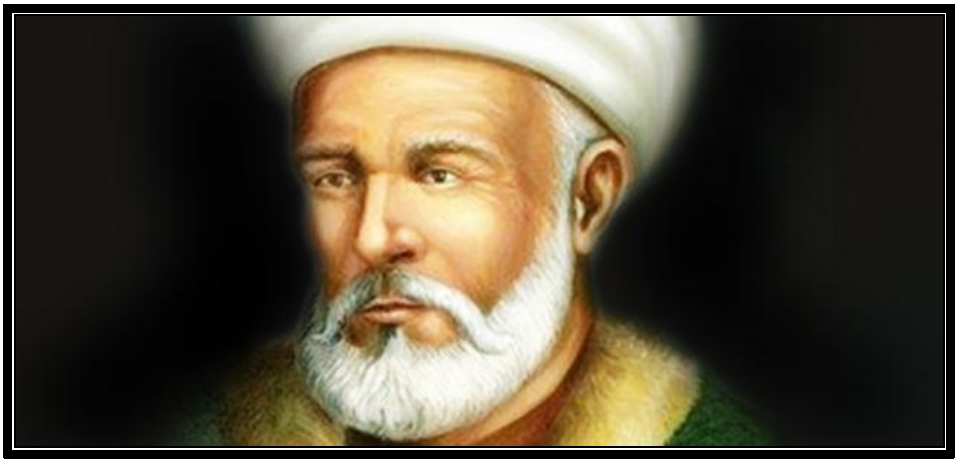

شكل (6)

هو أبو النصر محمد بن طرخان الفارابى ، ولد فى مدينة فاراب فى إقليم خراسان بتركستان حوالى عام 259 هـ - 872 م وتوفى فى دمشق عام 339 هـ - 950 م وهو من المفكرين المسلمين الذين لاقت دراساتهم إهتماماً كبيراً حتى لقب بالمعلم الثانى . وذلك بعد أن أطلقوا على أرسطو: المعلم الأول فضلاً عن تأثره بآراء أفلاطون المثالية .

وأهم الكتب التى ألفها فى مجال الفكر الاجتماعى ، كتابان قيمان أحدهما : " كتاب السياسات المدنية " والآخر " آراء أهل المدينة الفاضلة " والكتاب الثانى هو أشهر مؤلفاته وأصدقها تعبيراً عن آرائه الاجتماعية . وغاية الفارابى فى هذه الكتاب واضحة ، وهى تكوين مجتمع فاضل على غرار جمهورية أفلاطون ، وضع لقيامه منهجاً ورسم فى بحثه المبادئ الرئيسية التى يقوم عليها وقسم الفارابى كتابة قسمين : عرض فى القسم الأول منهما الدعائم التى يريد أن يقيم عليها مدينته المثالية . أما القسم الثانى الذى يعنينا فى الدراسات الاجتماعية فكان تخطيطاً للقواعد التى أراد أن يرسى عليها مدينته الفاضلة ، وشرح المبادئ التى ينبغى أن تقوم عليها المدينة ، التى تمنى أن

تكون . ولقد جاء الفارابى إلى مصر فترة قصيرة ، وكان كثير الترحال ميالاً إلى الزهد والتقشف ، لا يحفل بأمر مسكن ، لم يكنز المال ، لم يتزوج كان يؤثر العزلة ، ويحب الموسيقى .

وأهم المسائل التى عالجها الفارابى : تحليل الضرورة الاجتماعية وتقسيم المجتمعات ، ودعائم المدينة الفاضلة ، وصفات رئيسها .

أما عن الضرورة الاجتماعية ، أى ضرورة وجود الإجتماع الإنسانى فهو يقرر – كما يقرر أرسطو – أن الإنسان مدنى بالطبع ، أى أن الإجتماع الإنسانى فطرة ، فإن الإنسان محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس فى وسعه أن يستقل بآدائها وإشباعها لنفسه منفرداً فلأبد من التعاون مع بنى جنسه حتى تتحقق الغاية من الإجتماع الإنسانى .

ولكى تتم سعادة الإنسان ، لأبد أن يشمل التعاون جانبيه الروحى والفكرى من ناحية ، والمادى أيضاً من ناحية أخرى .

ثم ينتقل الفارابى بعد ذلك إلى تقسيم المجتمعات ، فيقسمها إلى مجتمعات كاملة ، ومجتمعات ناقصة أى غير كاملة . والمجتمعات الكاملة هى التى يتحقق فيها التعاون الاجتماعى بأكمل صوره ، وأرقى مظاهرة . والمجتمعات الكاملة تنقسم إلى ثلاثة أشكال هى :

1- المجتمع العالمى . 2- المجتمع الأوسط .

3- المجتمع الأصغر .

أكملها المجتمع العالمى ثم المجتمع الأوسط ثم المجتمع الأصغر . والمجتمع العالمى يشمل إجتماع أهل المعمورة كلها ، أما المجتمع الأوسط فيشمل إجتماع الأمة ، فى حين أن المجتمع الأصغر فيشمل المدينة .

والمجتمعات الناقصة هى التى لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها ولا تحقق لأفرادها السعادة المنشودة .

والمجتمعات الناقصة أو غير الكاملة تنقسم الغ ثلاثة أشكال هى :

1- مجتمع القرية الذى يشمل سكان القرية .

2- مجتمع الحى الذى يشمل سكان الحى .

3- مجتمع المنزل الذى يشمل أفراد أسرة واحدة .

ووجه الفارابى مزيد عنايته إلى مجتمع المدينة لأنها أبسط أشكال المجتمعات الكاملة ، ولبنته الأولى . ويقرر ، وهو المفكر المسلم أن هذه المدينة لأبد أن تدين بالدين الإسلامى خاضعة لحاكم مسلم ، أى أنه من الضرورى قيام الوحدة الدينية فى هذا المجتمع المثالى . لأن هذه الوحدة من شأنها أن تعزز الوحدة الروحية والسياسية .

والمدنية الفاضلة فى نظر الفارابى هى التى يتعاون أفرادها على الأمور التى تتحقق بها السعادة ويختص كل واحد من أفرادها بالعمل الذى يحسنه والوظيفة التى يتهيأ لها بطبعه وحسب إستعداده .

ويشترط الفارابى فيمن يصلح لتولى رياسة المدينة أن يكون ذا صفات متعددة بعضها أصيل والآخر متكسب . أما الأصيل منها فعددها فى أثنتى عشر فضيلة هى أن يكون تام الأعضاء سليم الحواس ، وأن يكون جيد الفهم والتصور ، جيد الحفظ والفهم ذكياً فطنا ، حسن العبادة ، محباً للعلم ، وأن يكون بطبيعته كارها للذات الدنيوية غير شره ، محبا للصدق وأهله ، وأن يكون محبا للكرمة ، تعاف نفسه ارتكاب الدنايا ، وأن تكون أغراض الدنيا عنده هينة . محبا للعدل وأهله ، قوى العزيمة لا يضعف أبداً ولا يخاف ، وأما الصفات المكتسبة فيراها فى أن يكون حكيماً ، عالماً جيد الاستنباط ، قادراً على ابتكار النظم والتشريعات ، عالماً بكل تشريع قديم ، ثم أن يكون قوى البدن قادراً على قيادة الجيوش كلها .

والواضح أنه من المتعذر فى الواقع وجود رجل فرد تتوافر فيه كل هذه الصفات جميعاً ، إن لم يكن هذا المطلب العقلى والنفسى والفكرى والروحى من باب المستحيل .

والفارابى لا يكتفى بضرورة توافر هذه الشروط فى رئيس المدينة بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيقول إن أفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة إلا إذا كانوا على غرار رئيسهم وأصبحوا صورة منه.

ومثل هذه المدينة التى أرادها الفارابى لا يمكن فى الواقع إلا أن تظل فى مجال التمنيات الطبية . وعلم الاجتماع يرفض أن يجعل محل دراسته التمنيات التى يستحيل تحقيقها فى مجتمع الناس العاديين من أوساط البشر الذين يكونون الكثرة فى أى مجتمع بشرى .

(4) المسعودى (توفى عام 346 هـ) :

شكل (7)

هو على بن الحسين بن على أبو الحسين المسعودى المؤرخ ، ولد ونشأ فى بغداد وله من التصنيفات كتب كثيرة من أشهرها :

كتاب " مروج الذهب " ، و " معادن الجوهر فى تحف الأشراف والملوك" .

وهو من المؤرخين الذين لم يعتمدوا فى دراساتهم للمجتمعات السابقة أو المعاصرة على مجرد الرجوع إلى الكتب . ثم أنه حينما يريد أن يحدثك عن عادات بعض البلدان أو حاصلاتها ، وخصوصاً البلدان التى كانت قائمة فى أيامه ، فإنه يروى لك مشاهداته الشخصية فى البر والبحر خلال رحلاته المتعددة .

وهو لا يقتصر فى تحقيق الوقائع بالمشاهدة والملاحظة المباشرة ، بل إنه يوثق دائماً ما يروى عن أشخاص يتحقق من صدق علمهم . فمثلاً حينما لم يستطع أن يذهب إلى الواحات بمصر ، تلقى معلومات من شخص جاء من الواحات ، ويقيم بها ، فقال : " قابلت هذا الرجل بباب الأخشيد ابن طغج ، وذلك سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وسألته عن كثير من أخبارهم ، وما إحتجت أن أعلمه من خواص أراضيهم . وكذلك كان فعلى مع غيره فى سائر الأوقات ممن لم اصل إلى بلادهم ... " .

(5) إبن حزم (المتوفى سنة 456 هـ) :

شكل (8)

هو أبو محمد على بن أحمد حزم القرطبى ، وهو عالم عربى أندلسى ومؤرخ وفقيه ومحدث وأديب . وله مصنفات مختلفة منها :

فضل الأندلس والأخلاق والسير فى مداواة النفوس ، وجمهرة أنساب العرب ، وقد كان التآلف بين الناس ن وهو جوهر الاجتماع الإنسانى ، غايته فى أكثر مؤلفاته . فإن كتابه جمهرة أنساب العرب يستهدف – كما قرر إبن حزم فى صدر هذا الكتاب – تمكين صلات الرحم والمحبة فى الأهل ، وأشار إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال ، منسأة فى الأجل، مرضاة للرب " ولا يستغنى اليوم باحث فى دراسة علم الإنسان ، وتعقب إتجاه الهجرة ، عن تقصى الأنساب وإتجاهها فى الأمصار المختلفة . وعلم الاجتماع البدوى فى بلادنا العربية والإسلامية يحتاج إلى توثيق تنقل العشائر وإتخاذها على أساس من الأنساب وإنتشارها . وأن كتاب إبن حزم المشهور : طوق الحمامة يستهدف أيضاً البحث فى أسباب التأليف بين قلوب الناس . وهذا التأليف كما قلنا هو جوهر العمران البشرى فى جملته .

(6) القلقشندى (توفى عام 821 هـ) :

شكل (9)

هو شهاب الدين أحمد (1353 – 1418 هـ) كاتب وأديب ولد بقلقشندة بجوار قليوب بمصر . وعاش بالقاهرة ، والتحق بديوان الرسائل ، وناب فى

الحكم . اشهر كتبه : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء . وقد ورد فيه ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون والعلوم . وفيه إشارات متناثرة إلى مشاكل الحياة الاجتماعية فى عصره ، بل عد كتابة موسوعة تنظم كل ما كان يعرفه معاصروه ، ثم كتاب نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب . ولعلك لاحظت إهتمام المفكرين العرب يتقصى هجرات القبائل : بطونها وأفخاذها ، وهو أمر هام فى تتبع الصلات الاجتماعية بين الجماعات المتناثرة من العرب فى البلاد المختلفة ، وله فائدة كبيرة فى تتبع ما كان من عاداتهم المشتركة ، وما تغير منها واختلف باختلاف الانتشار والانتقال والسكنى فى أماكن مختلفة . وكلها أمور تهم الباحث اليوم فى علوم الاجتماع ولا ريب .

(7) المقريزى (ولد عام 766 هـ - وتوفى عام 845 هـ) :

شكل (10)

ولد تقى الدين أحمد بن على المقريزى بالقاهرة عام 766 هـ (1364) وعاش بها أيام حياته ، ودرس على كبار شيوخ عصره وعلمائه فى الفقه والحديث والتاريخ ، وأشتغل كثيراً – كما يقول السخاوى – وطاف على الشيوخ وجالس الأئمة فأخذ وتأثر بأستاذه عبد الرحمن إبن خلدون فى أثناء إقامته بالقاهرة . ومارس المقريزى عدداً من الوظائف الحكومية ، فعمل أولاً

بديوان الإنشاء ثم عين قاضياً . واختاره السلطان برقوق عام 791 هـ لوظيفة محتسب للقاهرة والوجه البحرى ، ثم إنتقل إلى دمشق عام 816 هـ عاد إلى القاهرة ، وعاد بعدها إلى دمشق ليتولى التدريس فى عدد من مدارسها ، وقضى هناك عشر سنوات ، عاد بعدها إلى القاهرة ، عازفاً عن الوظائف الحكومية منذ ذلك الوقت ولزم داره حيث أكب على القراءة والدرس والتأليف.

ومؤلفات المقريزى نوعان :

كتب أو كتيبات صغيرة ألفها فى آخريات حياته . وكتب موسوعية كبيرة.

وقد تأثر بأستاذه إبن خلدون فى أسلوبه فى مجال البحث التاريخى وتمحيص الحقيقة التاريخية ، ولكنه لم يدرك إدراكاً واعيا " علم العمران البشرى " الذى إستحدثه أستاذه إبن خلدون . وإن كانت عنايته فى تحقيق ما وصل إلى علمه من أخبار التاريخ تدل دلالة واضحة على تأثره بالنهج التعليمى لأستاذه إبن خلدون . غير أنه كان يهتم بدراسة النظم الاجتماعية إهتمام المؤرخ ، لا عالم الاجتماع . ولقد أعانه على الوصول فى دراساته إلى نهج علمى قويم ، كثرة المراجع التى توافرت بين يديه ، وأشار إليها فى مؤلفاته ، ثم أنه أفاد بالملاحظة المباشرة ، خلال توليه وظائف كثيرة مكنته من التعرف على أسرار إدارة الحكم ، وعلى أحوال الشعب الاجتماعية والإقتصادية .

(7) السخاوى : (توفى عام 902 هـ) :

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبى بكر بن عثمان بن محمد السخاوى الأصل القاهرى المولد . ولد فى عام 831 هـ وتلقى علوم الدين والحديث على كثير من مشايخ مصر . وبرع فى الفقه والعربية والقرآن والحديث والتاريخ وسمع الكثير على شيخه الحافظ بن حجر العسقلانى . ورحل إلى بلاد عديدة وله مؤلفات عديدة منها : " الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ " ، وهو يرى أن

الله تعالى " قص فى كتابه المبين كثيراً من أخبار الأمم الماضية كقوم نوح وهود ومدين وثمود وما حكاه عن موسى وهارون وفرعون وقارون وعن أصحاب الرقيم ... " للغاية الكريمة التى أثبتها فى هذه الآية : " (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنيين) . " سورة هود الآية 12. " .

وهو يرى أن دراسة تاريخ الألم والجماعات مفيد ، وأنه يوقظ الهمة ويجعل الخطى أكثر ثباتاً فى سيرها ، تتجنب العثرات . وأكد على ضرورة تخليص التاريخ من الخرافات . فهو إذا يؤكد أهمية النهج العلمى الذى نادى به إبن خلدون فى تجرى الحقيقة ، وأكد على أهمية دراسة حياة الأقدمين كى نزداد فهما لحياة الجماعة التى تعيش أفرادها فيها . وقد أمتدح السخاوى مقدمة إبن خلدون ووصفها بأنها " مقدمة نفسية ... حوت كل العلوم " . ولكن حاله حال المفكرين العرب الآخرين لم ينتبه إلى إكتشاف إبن خلدون للعلم الجليل المستحدث : علم العمران البشرى .

(8) إبن خلدون :

شكل (11)

مـن أقوالـه " إن مـن اشـد الظلمـات وأعظمهـا فـى إفسـاد العمـران تكليـف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق " .

وهو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد فى تونس فى أول رمضان 732 هـ الموافق 27 مايو 1332 م وتوفى بالقاهرة فى 25 رمضان 808 هـ الموافق 15 مارس 1406 م .

وينتسب إبن خلدون إلى أسرة عربية يمنيه يحضر موت . ولقد غادر إبن خلدون تونس وهو فى العشرين من عمره بعد أن حدث الطاعون وهلك والداه وبعض شيخته ، ولم يعد إلى تونس إلا بعد 26 عاماً نقل خلالها فى كثير من بلاد المغرب وأسبانيا واتصل بسلاطين تلك البلاد وتولى كثيراً من الأعمال السياسية . رفعته السياسه حينا حتى وصل وزيراً وخفضته حينا حتى صار سجينا ، فسئم العمل السياسى واعتزله سبع سنوات من 1375 م إلى 1382 م

كتب فيها مقدمته المشهورة " العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر " .

" ولقد استقر به المطاف فى مصر وخاصة فى كل من الإسكندرية والقاهرة وكان الأزهر الشريف هو المأوى الأخير له حيث كان يحاضر فى الأزهر وزادت أعداد تلاميذه ومريديه .

ويمكن هنا عرض أهم الموضوعات التى تناولتها مقدمته :

1- الاجتماع الإنسانى (موضوعه ، أهميته ، منهجه) :

دعا إبن خلدون فى مقدمته إلى جعل العمران البشرى موضوعاً لعلم مستحدث ، ويقول إن واقعات هذا العمران تحكمها فى الواقع قوانين ثابتة لابد أن تكون غاية هذا العلم إستنباطها والكشف عنها ، ويقول أيضاً " وكأن هذا علم مستقل بنفسه ، فإنه ذو موضوع ، وهو العمران البشرى والإجتماع الإنسانى ، وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته ، واحدة بعد الأخرى ، وهذا شأن كل علم وضعياً كان أم عقلياً .

ويقصد إبن خلدون من كلمه " العوارض الذاتية " والتى استعملها كثيراً فى مقدمته ، ما نقصد نحن من كلمة قوانين .

ويؤكد إبن خلدون أن دراسته التى أتمها على ذلك الوجه لم يسبقه بها أحد وفى هذا يقول " وأعلم أن هذا الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أوجده الباحث وأدى إليه الغوص " ثم يقول " وكأنه علم مستنبط النشأة ، ولعمرى لم أقف على كلام فى منحاه لأحد من الخليقة " .

- وهكذا يتضح لنا إن إبن خلدون قد دعا فى مقدمته إلى ضرورة إنشاء علم لدراسة الظواهر الاجتماعية أطلق عليه علم العمران البشرى . كما قام بوضع الأسس العلمية

والمنهجية التى يجب على كل باحث فى المجتمعات البشرية أن يلتزم بها ، وهكذا يمكن الجزم بأن إبن خلدون هو أول عالم يقرر صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد وأنه المنشئ الأول لعلم الاجتماع ، لأنه أول من إستكمال الخصائص المنطقية التى يجب توافرها فى كل علم من حيث الموضوع والمنهج والأغراض التى يرمى إليها . فالفضل فى إنشاء علم الاجتماع يعود إلى المفكر العربى المسلم إبن خلدون ، لا كما يدعى الإيطاليون الذين ينسبون فضل ذلك إلى فيكو 1668 – 1744 ، ولا كما يدعى البلجيكيون الذين يعتبرون أن أدولف كتيلية 1796 – 1874 م هو أول من استخدم الفيزياء الاجتماعية ، ولا كما يدعى الفرنسيون أن أوجست كونت 1798 – 1857 م بأنه مؤسس علم الاجتماع بلا منازع . فتاريخ علم الاجتماع وبشهادة علماء الغرب أنفسهم أمثال جمبلوفتش ، وكولز ، وشميدت ، بل وأرنولد توينبى الذى ذكر صراحة بأن مقدمه إبن خلدون وما تتضمنه من أفكار تعد أعظم عمل من نوعه لا يمكن لأى عقل أن يجود يمثله فى أى عصر أو أى مكان " – هذا التاريخ أى تاريخ علم الاجتماع يؤكد أن هناك مفكر عربى قبل هؤلاء جميعاً بنحو أربعة قرون أقام صرح هذا العلم على أسس منهجية ودرس مسائلة واستنبط قوانينه وهو إبن خلدون .

- ولقد اهتم إبن خلدون بتوضيح أغراض وميادين علم العمران البشرى حيث يرى أن لهذا العلم أغراض مباشرة وأغراض غير مباشرة . وتتخلص الأغراض المباشرة فى ضرورة

الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ، والوقوف على القوانين التى تخضع لها . أغراض نظرية) . أما الأغراض غير المباشرة فهى تتلخص فى الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه فى حقائق التاريخ وتحليل الأخبار وتعليل الأحداث (أغراض عملية) .

- ويعتبر إبن خلدون من أهم مؤرخى المسلمين . وقد اسماه البعض مؤسس علم التاريخ لأنه ذهب إلى أن التاريخ فرع نوعى من المعرفة يهتم بكامل مجال الظاهرات الاجتماعية للتاريخ الفعلى ويكشف المؤثرات المختلفة التى يعمل فيها وباستمرارات الأسباب والنتائج وبالمكونات الفيزيقية والنفسية .
- ويعرف إبن خلدون التاريخ تعريفاً اجتماعياً فيقول " يهدف التاريخ إلى إفهامنا الحالة الاجتماعية للإنسان أعنى الحضارة ، ويهدف كذلك إلى أن يعلمنا الظواهر التى ترتبط بهذه الحضارة وإلى معرفة الحياة البدائية وتهذيب الأخلاق وروح الأسرة والقبيلة .
- ويقسم إبن خلدون مقدمته إلى ستة فصول تستوعب تقريباً كل فروع علم الاجتماع المعروفة لدى الاجتماعيين المحدثيين وهى على التوالى :

1- الفصل الأول وعنوانه " العمران البشرى على الجملة " وبعد هذا الفصل أساساً لعلم الاجتماع العام .

2- الفصل الثانى وعنوانه " فى العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل " وهى أبحاث فى أصول المدنيات القديمة ، ويكاد يختص بها علم الإنسان أو الأنثرويولوجيا وكذلك علم الاجتماع البدوى .

3- الفصل الثالث وعنوانه ط فى الدولة العامة والملك والخلافة والتراتيب السلطانية " وهو دراسات لمسائل السياسة والحكم ن وأصبحت اليوم موضوع علم الاجتماع السياسى وكذلك علم الاجتماع القانونى .

4- الفصل الرابع وعنوانه " البلدان والإحصاء وسائر العمران " وهو مجموعة من البحوث فى النظم العمرانية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع المهنى .

5- الفصل الخامس وعنوانه " فى المعاش ووجوهه فى الكسب والصنائع وما يعرض فى ذلك من الأحوال " وهو دراسات للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع الاقتصادى .

6- الفصل السادس وعنوانه " فى العلوم واكتسابها وتعلمها " وهو دراسات تربوية ولغوية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع التربوى.

ويثبت إبن خلدون بهذه المعالجة لمختلف مجالات العمران البشرية الحقيقية التى مؤداها " أن الإجتماع ضرورى للنوع الإنسانى " حيث إن قدرة الواحد من البشر تعجز عن أن تحقق حاجته ، فبالتعاون بين أبناء جنسه يحصل قدر الكفاية من الحاجة .

كما أن التعاون يحقق البقاء والاستمرار والدفاع عن الجنس البشرى ضد مصادر العدوان . ويقول إبن خلدون " إن هذا الإجتماع إذا حصل للبشر وتم عمران العالم بهم ، فلأبد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما فى طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، ويكون هذا الوازع واحداً منهم يكون له عليهم

الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك .

* أما عن المناهج الملائمة لبحث موضوع العمران البشرى طبقاً لوجهة نظر إبن خلدون :-

هناك ست قواعد للمنهج الذى استخدمه أبن خلدون وكشف به علمه الجديد وهى :-

1- الشك والتمحيص .
2- التشخيص المادى .
3- تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران .
4- القياس بالشاهد والغائب .
5- السير والتقسيم .
6- الحيطة عند التعميم .

واتبع إبن خلدون الخطوات الآتية :-

1- الاعتماد على ملاحظة ظواهر الاجتماع فى الشعوب التى أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها .
2- تعقب الظواهر فى تاريخ هذه الشعوب بنفسها فى العصور السابقة لعصره .
3- تعقب أشباهها ونظائرها فى تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها .
4- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً والتأمل فى مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها وما تؤديه من وظائف فى حياة الأفراد والجماعات ، كذلك تحديد العلاقات التى تربطها بعضها ببعض والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر الكونية .

5- استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر من قوانين .

* ويؤكد إبن خلدون فى إطار استخدامه للمنهج التاريخى أن على الباحث ألا يقبل شيئاً على أنه صدق أو حق الا بعد أن يتأكد بوضوح أنه كذلك ، أى يجدر به ألا يتأثر بآراء سابقيه أو يتخذ من الأساطير وآراء الآخرين غير المؤكدة أساساً لدراسته .

ويفرق إبن خلدون هنا بين التاريخ الوقائعى ، الذى لابد فيها من الإعتماد على مقاييس تفرز الغث من السمين ، وتميز الحق من الباطل ، وبين العمران البشرى والإجتماع الإنسانى وكأنه علم مستقل بنفسه ، وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة تلو الأخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً .

كما أهتم إبن خلدون بمنهج المقارنة بين ماضى الظاهرة وحاضرها، وأكد على أهمية وصول العلم إلى صوغ القوانين التى تحكم العمران من خلال الملاحظة ، والتحليل والتفسير فى إطار تاريخى حتى يمكن الوصول إلى القوانين التى تحكم المجتمع .

2- المحاكاة والقهر الاجتماعى :

يرى إبن خلدون أن الناس الذين يعيشون معاً يحاولون محاكاة بعضهم بعضاً ويتجه هذا الميل نحو إقتداء الأدنى بالأعلى .- أو تقليد المغلوب للغالب، حيث إن النفس ترى الكمال فيمن غلبها وإنقادت إليه ، ويعد هذا أحد أنماط التقليد – تقليد المغلوب للغالب – التى عرضها إبن خلدون والتى تمثل ما هو معروف لدينا فى الدراسات الثقافية العلاقة بين الثقافة الأعلى والثقافة الأدنى خلال عمليات الانتشار الثقافى ، فالثقافة الأعلى تؤثر فى الثقافة الأدنى بشكل أكبر وأكثر فاعلية . فالمغلوب كما يقول إبن خلدون مولع بالاقتداء بالغالب فى

شعاره وزيه ، نحلته ، وسائر أحواله وعوائده ، فالنفس تعتقد الكمال فى من غلبها وإنقادت إليه .

وهناك تقليد الأبناء للآباء وهو النمط الثانى من أنماط التقليد عند إبن خلدون .

والنمط الثالث من أنماط التقليد هو ما يمكن تسميته بالتقليد الحضارى حيث يقول إبن خلدون " أهل الدولة أبداً يقلدون فى طور الحضارة وأحوالها ، للدولة السابقة قبلهم ، فأحوالهم يشاهدون ومنهم فى الغالب يأخذون " . وهذا يماثل عمليات الإتصال الطوعى السائدة حالياً .

* ويؤكد إبن خلدون فى كتاباته على فكرة " القمر الاجتماعى " أو القهر الاجتماعى الذى تمارسه العادات والتقاليد الاجتماعية على الأفراد والجماعات. فلقد سبق إبن خلدون دوركايم فى إشارته إلى جبرية الظواهر .

3- نظرية التطور التدريجى :

يقرر إن خلدون أن من أهم الخصائص التى تمتاز بها ظواهر الاجتماع الإنسانى أنها لا تتجمد على حال واحدة بل تختلف أوضاعها بإختلاف الأمم والشعوب وتختلف فى المجتمع الواحد بإختلاف العصور . فمن المستحيل أن نجد أمتين تتفقان تمام الإتفاق فى نظام اجتماعى . وفى طرائق تطبيقية ، كما أنه من المستحيل أن نجد نظاماً اجتماعياً قد ظل على حال واحدة فى أمة ما فى مختلف مراحل حياتها . تصدق هذه الحقيقة على شئون السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء وسائر أنواع الظواهر الاجتماعية حتى ما يتعلق منها بشئون الأخلاق ، ومقاييس الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، فما يكون خيراً فى مجتمع قد يكون شراً فى مجتمع آخر ، وما تعده أمه ما فضيلة قد تره أمه أخرى رذيلة ، وما يراه شعب مباحاً يراه شعب آخر محظوراً ، بل قد يصل الأمر إلى أن الشئ الواحد كثيراً ما يختلف الحكم عليه من الناحية الخلقية فى

أمه ما باختلاف عصورها . فتغير العمران حقيقة أساسية وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هو إختلاف على الأيام والأزمنة وإنتقال من حال إلى حال .

ولقد فطن إبن خلدون إلى أن هناك نوعين من التغير الاجتماعى :

1- المباينة بالجملة : أى التغير التدريجى فى العمران كله أو فى جزء من أجزاءه .
2- التبدل بالجملة : أى التغير الجذرى الذى يخلق نمطاً جديداً ومجتمعاً جديداً يخالف المجتمع السابق عليه تماماً .

4- المجتمع من وجهة نظر إبن خلدون :

المجتمع من وجهة نظر إبن خلدون يشبه الكائن الحى يظهر إلى الوجود طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم يصيبه الهرم ويزول .

ويرى إبن خلدون أن هناك خمسة أطوار للدولة :

1- طور الاستيلاء على الملك .
2- طور الاستبداد بالحكم .
3- طور الفراغ لتحصيل ثمرات الملك .
4- طور القنوع والمسالمة .
5- طور الإسراف والتبذير .

فالمجتمع شأنه شأن الكائن يحيى ويموت ، بل يرى إبن خلدون أن عمر الدولة حوالى 12. عاماً مقسمه إلى ثلاثة أو أربعة أجيال

- الجيل الأول : جيل البداوة والتوحش والإفتراس .
- الجيل الثانى : جيل التحول بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة .
- الجيل الثالث : جيل الترف والنعيم والحضارة .
- الجيل الرابع : جيل الاضمحلال والإنهيار .

5- الإنسان والبيئة :

* العلاقة بين الإنسان والبيئة هى موضوع دراسة علم اجتماع البيئة .

ولقد قام إبن خلدون بتقسيم العالم إلى سبعة أقاليم وفسر على أساس هذا التقسيم إنتشار العمران والمدن والأمصار بل وإزدهار الحضارات وتزايد السكان وترف العيش ... الخ .

أسوا الأقاليم هى الإقليم الأول والثانى لارتفاع الحرارة والإقليم السادس والسابع لإفراط البرودة . وأن أفضل الأقاليم هو الإقليم الرابع لأنه أكثر الأقاليم إعتدالا فى المناخ ويتبعه كل من الإقليم الثالث والخامس

وهو يرى أن الشرق العربى أحس مناطق العالم لأنه معتدل بين لحرارة الزائدة فى الجنوب والبرودة الشديدة فى الشمال . وأما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها أبعد عن الاعتدال فى جميع أحوالهم وأخلاقهم قريبه من خلق الحيوانات .

ويقول إبن خلدون فى تأثير المناخ فى مزاج الناس وسلوكهم بأن الهواء الساخن يبعث على النشوة والدعابة والمرح والطرب . أما سكان المناطق الباردة فإنهم متحفظون لا يظهرون مشاعرهم بسهولة ، كما أنهم لقسوة الظروف الجوية تجدهم يتميزون بالتدبر والتدبير فى المعيشة ، ولهذا يدخرون من أقواتهم ما يكفيهم مدة طويلة . وعلى أية حال فإن إبن خلدون يعطى أهمية كبرى للعامل المناخى الجغرافى فى حياة الإنسان والمجتمع فيجعل البيئة الجغرافية محددة لنمط المعيشة ، ومؤثرة فى العادات والتقاليد ، وفى نظم الحكم ، وشئون الأسرة ، بل قل مؤثرة فى البنية والميول .

6- الحياة البدوية والحضرية :

يفرق إبن خلدون بين نوعين من الحياة البدو والحضر على أساس المهنة فالبدو يحترقون الزراعة والرعى وأما الحضر فيحترقون التجارة والصناعة .

وأن المجتمع البدوى والمجتمع الحضرى ضرورى لأنهما مجتمع طبيعى ، إلا أن المجتمع البدوى أقدم من المجتمع الحضرى واصل له وهو أفضل أخلاقاً وأكثر خبره منه لأنه يكفى بضروريات الحياة ، فهو أقرب إلى الفطرة الأولى، كما أنه أقرب إلى الشجاعة من المجتمع الحضرى ، فأهل البدو يقومون بالدفاع عن أنفسهم بحكم كونهم ذى عصبية ونسب واحد ، ومن هنا يكون بينهم التعاقد. ونتيجة لحياة القاسية التى تحياها المجتمعات الوحشية وقوة ارتباطها بصلة النسب فإنها تكون أقدر على التغلب على من سواها ، ولذلك فإنها كثيراً ما تغلبت على المجتمعات الحضرية وأخضعتها لنفوذها ، وعندئذ ينتهى المجتمع البدوى إلى مجتمع حضرى ويمارس الملك وكل المظاهر الحضارية. حيث يرى إبن خلدون أن إنتشار الترف فى المدينة يؤثر تأثيراً سلبياً فى أخلاق سكانها وفى علاقاتهم البشرية ، فالتفنن فى الترف يترتب عليه إنتشار الرذائل المعجل بخراب المدن وهذا معنى قوله تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً " .

إن ما عرضه إبن خلدون فى هذا الموضوع يعد أساساً لعلم الاجتماع الريفى والحضرى .

7- الاجتماع السياسى :

أسهم إبن خلدون فى هذا النوع من علم الاجتماع إسهاماً أصيلاً حيث يقرر " بأن الناس محتاجون إلى سلطة فالحكم طبيعى فى الإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع ، وأن العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره ، ولأبد أن تكون هذه السياسة معتدلة بعيدة عن فرض المغارم السلطانية ، والمكوس على الرعايا حيث إن ذلك يدفعهم إلى مزيد من الأعمال التى تؤدى إلى كثرة الإعتمار .

ولقد عقد إبن خلدون عدة فصول من المقدمة لمناقشة ما أطلق عليه مصطلح العصبية وأثرها فى الحياة الاجتماعية والسياسية صلتها بالدولة فى مختلف أطوارها وعهودها . والعصبية ببساطة تعنى الرابطة القرابية التى تلعب دوراً فى الحياة الاجتماعية فى الأقطار العربية على وجه الخصوص ولابد فى تكوين الدولة من ظهور الزعامة المستندة إلى قوة العصبية .

* ويشرح إبن خلدون كيفية قيام الدولة حيث يميز بين المجتمعات البدائية فهناك العشيرة والقبيلة والإتحاد القبلى ، وأن الرياسة إنما تكون لذوى العصبية الضيقة الأقوى ، وأن كل حى أو بطن من القبائل وإن كانوا ذو عصبيه واحدة لنسبهم العام ، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب أخرى هى أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشيرة واحدة أو أصل بيت واحد أو أخوة بنى أب واحد فهم ينفردون بالتعصب لنسبهم ن ويتمسكون بأن تكون الرياسة منهم فيتناقلونها من أب إلى أب داخل عشيرتهم ، ما دامت هى الأقوى فإذا أضعفت انتقلت الرياسة إلى عشيرة أخرى فى القبيلة نفسها أو الإتحاد القبلى .

والعصبية بما تنطوى عليه من قوة وغلبة هى أساس الحياة السياسية وقيام الدولة بأن الغلبة التى تهدف إليه العصبية هى الملك . وهذا يعنى أن الملك درجة أعلى من الرياسة لأن الرياسة لصاحب العصبية الذى ليس له اتباع ، أما الملك فهو لصحب للعصبية الذى له اتباع من أصحاب العصبيات الأخرى.

ويفسر إبن خلدون أسباب انهيار الدولة كما يلى :

1- إنغماس القبيلة فى الترف .
2- سيطرة ولاة الأعمال على الدولة ثم الإنعزال وتكوين الدولة الجديدة والإستبداد .
3- ظهور طبقة مسيطرة تراعى مصالح السلطان وتتجاهل المصالح العامة .

حيث يقول إبن خلدون لا عز للدولة إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، ومن أبرز أنواع العدل من وجهة نظر إبن خلدون العدل الاقتصادى .

8- الاجتماع الاقتصادى :

اهتم إبن خلدون فى مقدمته بعده موضوعات تدخل فى صميم علم الاجتماع الاقتصادى .

حيث أعطى للعوامل الإقتصادية الصدارة فى تفسير حال الدول وهو ما عبر عنه فى بدء مقدمتة أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء ... فلأبد من إجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه . ويعطى إبن خلدون أهمية كبرى للعمل ويرى أن قيمة الشئ تتمثل فيما بذل فيه من عمل " إذا ليس هناك إلا العمل ، فالأعمال هى القوة الأساسية الكامنة وراء الحركة العمرانية تنشط بنشاطها وتتقلص بتدهورها .

كما وضح إبن خلدون مفهوم العمل الإنسانى وقيمته وهو يصنف الأمم وفق طراز الإنتاج بها :

فالمرتبة الأولى يأتى الحضر مع مختلف الصنائع ثم يجئ الزراع المجتمعون فى القرى ، وأخيراً يأتى البدويون .

على أية حال فإن اليونانيين والعرب ساهموا مساهمة فعالة فى إثراء الفكر الاجتماعى من خلال قيام بعض لمفكرين فى اليونان والعرب بمناقشة مسألة التنوع الثقافى والحضارى بين الشعوب فى الأزمنة السابقة على عصر النهضة إلا أن اهتماماتهم كانت قاصرة على جمع المادة الإثنوجرافية دون أن يكون هناك أية محاولة جادة وسليمة للتنظير ويجب أن نستثنى من ذلك عبد الرحمن إبن خلدون باعتبار أن مقدمته تتضمن المادة الإثنوجرافية والتنظير

معاً . حيث إن الآراء التى عرضها إبن خلدون تشدنا إلى كثير من جوانبها فهى ليست رؤية تراثية بقدر ما هى رؤية تتسم بالدينامية والإستمرارية .

خامساً : فسلفة التاريخ وعلم الاجتماع :

ظهرت بعض الدراسات الاجتماعية التى اهتمت بتفسير التاريخ الإنسانى والتوصل إلى القوانين الكلية التى تتحكم فى مجرى التاريخ الإنسانى والمجتمعى والعوامل التى تؤثر فى تطوره .

وهناك كثير من المفكرين الذين اهتموا بدراسة التاريخ الإنسانى ويطلق عليهم فلاسفة التاريخ ومنهم على سبيل المثال فيكو الإيطالى وكانت الألمانى . وهيجل الألمانى أيضاً .

1- فيكو الإيطالى (1668 – 1744 م) :

شكل (12)

وضع فيكو أفكاره فى كتابه العالم الجديد حيث عرض نظريته فى التطور الاجتماعى التى ذكر فيها أن جميع المجتمعات البشرية تخضع لقانون عام فى تطورها من خلال ثلاث مراحل هى :

(1) المرحلة الإلهية : وهى عصر طفولة الأمة والسلطة فيها لرجال الدين .

(2) المرحلة البطولية : وهى مرحلة تسودها الرأسمالية وعبادة الأفراد .

(3) المرحلة الإنسانية : وهى مرحلة تسودها الحرية السياسية والمدنية والمعرفية العلمية .

2- ايمانويل كانت (1734 – 1804 م) :

شكل (13)

يرى كانت أن العامل الأساسى الذى يتحكم فى حركة التاريخ يكمن فى الطبيعة المزدوجة للإنسان أى طبيعته الاجتماعية وطبيعته اللا اجتماعية . فاجتماعية الإنسان تتمثل فى إرتباطه بالآخرين بعلاقات متبادلة وحاجات مشتركة . أما لا إجتماعية الإنسان فإنها تتمثل فى رغبة الإنسان فى الاحتفاظ بمسافة تفصل بينه وبين الآخرين ، رغم حاجته إليهم . وأن الصراع بين الطبيعتين البشريتين الإجتماعية واللا اجتماعية تعد بمثابة القوة التى تدفع إلى تطور المجتمعات ونشؤ الحضارات الإنسانية .

3- هيجل (1770 – 1831 م) :

شكل (14)

هو فيلسوف ألمانى أسمه جورج وليم فردريك هيجل ، عرض أفكاره فى كتابه " فلسفة التاريخ " مستنداً إلى القضية مؤدها أن الروح والعقل أو الله هى الحقيقة المطلقة ، وأن كافة ظواهر الطبيعة والمادة تنشأ عن هذه الحقيقة . ولقد أبدع هيجل فى تناوله لهذه القضية مستخدماً الطريقة الدبالكتيكية أو الجدلية " .

وكلمة الجدلية هى كلمة يونانية تعنى النقاش والحوار . ولقد استخدمت هذه الكلمة على مدى العصور المختلفة وعند مختلفة المفكرين بمعان متباينة فإذا ما اقتصرنا على معناها كمنهج للبحث وأسلوب للتفكير، فإن الجدلية تعد بمثابة تعبير عن فلسفة الصيرورة " من فعل يصير ويصبح " وهى بهذا تقف على النقيض من الفلسفة الميتافيزيقية أى ما وراء الطبيعة التى تعد بمثابة تعبير عن فلسفة الكينونة من فعل " يكون " ولكل من هاتين الفلسفتين أسلوبها الخاص فى تعقل الأشياء وهما فى نفس الوقت فى تعارض تام فيما بينهما .

ففلسفة الكينونة أتت لنا من أرسطو وكانت لقرون عديدة الفلسفة التقليدية للغرب كتعبير عن خلود ودوام الأشياء والفكر والحقيقة والأخلاق وهى ترتكز على مبدأ الثبات الدائم ، فالشئ إما أن يكون موجود أو غير موجود ولا يمكن

أن يكون الشئ موجود وغير موجود فى آن واحد . أما فلسفة الصيرورة فقد أتت لنا من الفلاسفة الإغريق الذين سبقوا أرسطو بقرنين من الزمان ويعد هيراقليطس هو أب الفلسفة الجدلية حيث ترتبط هذه الفلسفة بالزمن والتغير وترتكز على مبدأ التغير الدائم أو الجدل فكل شئ يولد ثم ينمو ثم يموت . وكل حقيقة حية وكل كائن حى وكل نظام إنما يتطور وفقا لهذا المبدأ " المولد والنمو والفناء " وكل شئ من الأشياء المذكورة يحوى فى داخله على بذوره فنائه . وكما يقول هيجل إن كل كائن حى يحوى فى ذاته على بذور فنائه بحيث تكون لحظة ميلاده هى أيضاً لحظة موته .

والفلسفة الجدلية عند هيجل تتخطى النظرة التشاؤمية القديمة لهيراقليطس حيث يرى هيراقليطس أن التغير الدائم يعتبر بمثابة عملية يائسة لا اصل فيها للكائنات والأشياء ، إلا أن فكر هيجل الجدلى إحتوى على نظرة تفاؤلية حيث يرى أن من الموت تولد حياة أخرى جديدة ، فالفكرة تولد من جديد بعد موتها أكثر شباباً وأكثر وضوحاً من قبل .

والإنسانية عند هيجل تتجاوز الإنسان وكل نظام ما هو إلا مرحلة انتقالية فى النمو المستمر للمجتمع الإنسانى من الأدنى إلى الأعلى ، كذلك الحال بالنسبة لكل فترة تاريخية . وكل نظام أو فكرة عندما يصبح عائقاً فى وجه التطور فإنه يجب عليه أن يخلى السبيل لنظام آخر اسمى منه وأعلى ، وهذا النظام الجديد سيدخل فى الدورة نفسها ويصبح فى وقت ما لاحق عائقاً ولا مبرر لوجوده ، ومن ثم يموت بدوره ، مفسحاً المجال لنظام جديد آخر وهكذا. فكل شئ بالنسبة للفلسفة الجدلية عند هيجل يحتوى على بذرة فنائه من ناحية ، وبذره تجاوزه من ناحية أخرى ، فالموت خلاق ومنشئ .

وباختصار شديد يمكن القول أن فلسفة الجدلية عند هيجل ترتكز على قضيتين أساسيتين :

الأولى :

وهى تلك التى تتعلق بثلاثية مراحل التطور " المولد والنمو والفناء ".

الثانية :

صمود الإنسانية الدائم من المراحل الدنيا إلى المراحل العليا بحيث يكون موت نظام أو فكرة ما ، إيذانا بمولد نظام جديد أرقى وأعلى من النظام القديم .

وفى ضوء هاتين القضيتين تقوم حركة الجدل عند هيجل وهى تعنى أن كل وجود أو نظام أو فكرة إنما يسير وفقا لمراحل ثلاث هى :

1- الدعوى أو الموضوع .
2- نقيض الموضوع .
3- التركيب .

وبمعنى آخر التأكيد والنفى ونفى النفى . فكل وجود أو نظام أو فكرة يبدأ بتأكيد نفسه " الدعوى " ، لكنه عندما يكبر يبدأ فى فرض نفسه فإنه يتسبب فى وجود قوى متناقضة وتقف ضده " النقيض " ، ومن خلال الصراع الحتمى بين الدعوى ونقيض الدعوى يظهر وجوداً أكثر علواً وسمواً حيث تتركب وتتصالح فيه القوى المتعارضة من كل من الدعوى والنقيض ، هذا الوجود يطلق عليه هيجل " التركيب " .

فعلى سبيل المثال لخص هيجل تاريخ فرنسا فى :

1- النظام القديم : " الدعوى أو الموضوع " .
2- الثورة : " نقيض الدعوى أو الموضوع " .
3- إمبراطورية نابليون " التركيب " .

تلك هى خلاصة الفلسفة الجدلية أو المنهج الجدلى فى البحث والتفكير هند هيجل والتى أجاد استخدامها كارل ماركس وقلبها رأساً على عقب .

قدم تحليلاً نقدياً لوجهات نظر العلماء السابقين وتوجهاتهم نحو القضايا الاجتماعية المختلفة ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الثالث

علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى

- مقدمـــــة .
- أولاً : علاقة علم الاجتماع بالفلسفة .
- ثانياً : علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا .
- ثالثاً : علاقة علم الاجتماع بعلم النفس .
- رابعاً : علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد .
- خامساً : علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية .
- سادساً : علاقة علم الاجتماع بالإحصاء .
- سابعاً : علاقة علم الاجتماع بالتاريخ .
- ثامناً : علاقة علم الاجتماع بالفن والجمال .
- تاسعاً : علاقة علم الاجتماع بالسياسة .
- عاشراً : علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا .
- حادي عشر : علاقة علم الاجتماع بالإدارة .
- ثاني عشر : علاقة علم الاجتماع بعلم الاجتماع القانونى .
- ثالث عشر : علم الاجتماع وصلته بعلم الطبيعة .
- رابع عشر : علاقة علم الاجتماع بالبيولوجيا والفزيولوجيا .
- خامس عشر : علم الاجتماع وصلته بعلم الطب .
- سادس عشر : علم الاجتماع وصلته بالهندسة .

مقدمـــــة :

يعد علم الاجتماع من احدث العلوم الاجتماعية التى انفصلت عن مجموعة العلوم الفلسفية ، ويهدف على التنبؤ عن كافة أنواع السلوك الإنسانى ، حيث يهتم علم الاجتماع بدراسة العلاقات الاجتماعية ، وأوجه التفاعل الاجتماعى بين الأفراد داخل الجماعات وبين الجماعات المختلفة.

فإذا كان الإنسان هو موضوع اهتمام جميع العلوم الاجتماعية إلا ان هناك تباينا فى زاوية اهتمام كل علم بهذا الإنسان وما يصدر عنه من تصرفات . ومع ذلك فان هناك تداخلا بين هذه الزوايا بما يؤكد على صعوبة تصور حدود واضحة تفصل فصلا محدداً بين فروع العلوم الاجتماعية .

ويمكن هنا تحديد اوجه العلاقة بين علم الاجتماع وبعض العلوم الاجتماعية الأخرى ومنها :

أولاً : علاقة علم الاجتماع بالفلسفة :

لقد نشأ علم الاجتماع فى الربع الأول من القرن التاسع عشر فى أوربا على يد " أوجست كونت " العالم الفرنسي فى معترك الصراع بين تيارات فلسفة متعارضة ، وواكبت انهيار النظام الاجتماعى القديم(الإقطاع) وصعود النظام الجديد (المجتمع الصناعي الرأسمالي)، تيارات فلسفية سياسية وأخلاقية إنطلقت من منطق التنوير كالفلسفات السلبية والنقدية التى أسهمت فى تقويض النظام بوصفها أسلحة فكرية بالغة الضراوة ، أو من المنطق المضاد للتنوير كرد الفعل الفلسفي الرومانى المحافظ التى أخذ يتغنى بالعناصر الاجتماعية والأخلاقية والإيجابية للنظام القديم . وبالتالى فإن ذلك يوضح الصلة الوثيقة التى ميزت علاقة علم الاجتماع بالفلسفات السياسية والأخلاقية فى مرحلة النشأة .

وبغض النظر عن حقيقة انطلاق علم الاجتماع فى إطار الفلسفة فإن هناك من يميز بين علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعية على أساس أن الفرق بينهما هو ذات الفرق بين كل علم وكل فلسفة ، بوصفهما شكلين مختلفين من أشكال المعرفة الإنسانية ، وإن الفرق بينهما هو فرق فى الهدف ، وفى طريق بلوغ هذا الهدف ، فالفلسفة بصفة عامة تبحث عن العلل النهائية للأشياء أو لظواهر الكون المختلفة التى تشمل أيضاً الإنسان والمجتمع والحضارة . وتنشغل بقضايا مثل القيم الإنسانية النهائية ، والعلل النهاية للوجود بما فيه الوجود الإنسانى والأنماط المثالية للعلاقة بين الإنسان والموقف العام الذى يحيط به بجوانبه الحضارية والإنسانية والمادية ، أما العلم بشكل عام فإن هدفه محدد بالحقائق النسبية ، بل هو يكاد لا يسلم بوجود ما يسمى بحقائق مطلقة أو علل نهائية ، وتعتبر هذه المقولات مقولات فلسفية وغير علمية فى الوقت ذاته.

وفى ضوء ذلك الاختلاف فى الهدف تختلف التساؤلات التى يثيرها كل من الفيلسوف والعالم ، فالتساؤل الفلسفي طموح وغير محدود ، بينما التحديد والتواضع هما السمتان الأساسيتان اللتان تميزا أى تساؤل علمى.

إن الفيلسوف يستطيع أن يتساءل حول مستقبل الإنسان أو مصير الإنسان أو مصير الحضارة الإنسانية ككل ، لكن العالم لا يستطيع إثارة مثل هذا التساؤل لأن طرقة المنظمة فى الحصول على إجابة عن تساؤلاته لا تمكنه من الإجابة عليه بشكل يستوفى الشروط العلمية . ولكن العالم يستطيع فقط أن يثير تساؤلا محدداً مثلا كأن يتساءل عن الظروف التى يمكن قياسها وحصرها – التى تؤدى فى موقف ما إلى ظاهرة العنف أو ظاهرة الجريمة أو التغير الاجتماعى أو غير ذلك من التساؤلات المحددة التى يمكنه الإجابة عنها بالطرق التى اصطلح على تسميتها بالمنهج العلمي .

وجدير بالذكر أن الاختلاف فى الهدف وطبيعة الأسئلة المثارة تفرض اختلافا فى طرق بلوغ هذا الهدف ، فهدف الفلسفة ربما يفرض تصورات أو تعميمات قبلية تشكل فى ذهن الفيلسوف يتجه إلى أن يخلعها ويطبقها على الظواهر الملموسة أو على حد تعبير البعض أن منطق التفكير الفلسفى يبدأ من الكليات إلى الجزئيات ، أى يبدأ بالتعميم ثم يتجه إلى استنباط الحقائق الجزئية من هذا التعميم . وهو يعتمد فى تعميماته إلى حد بعيد على خبرة تأملية ذاتية بينما يتخذ العالم موقفاً مناقضاً وهو يحاول الوصول على هدفه والإجابة عن تساؤلاته ، إذ أنه لا يضع اعتباراً للخبرة الذاتية ، وإنما يهتم بالخبرة الموضوعية التى تستند إلى ملاحظة الوقائع الموضوعية ورصدها بمختلف أساليب الرصد والقياس الدقيقة منطلقاً من تصور يعد مسلمة محورية من مسلمات المنطق العلمي مؤداه أن العالم يتميز بالوجود الموضوعى بشكل مستقل عن تصوراتنا الذاتية ولذلك فإن المعرفة العلمية تبدأ من الجزيئات إنطلاقاً نحو التعميم.

لكن هذه الاختلافات التى قد يراها البعض فارقاً بين العلم والفلسفة لا تلغى العلاقة الوثيقة بينهما بشكل عام فالتفكير الفلسفي قد يثرى التفكير العلمي من خلال ما قد يثيره من تساؤلات قابلة للبحث والدراسة بأسلوب علمى .

ومن ناحية أخرى ، فإن التقدم العلمي فى البحث والاكتشاف يسهم إسهاما بالغاً فى تطور الفكر الفلسفى من حيث كونه يسهم فى حل الإشكاليات المعرفية والمنهجية التى تثيرها الفلسفة ، فالفيلسوف المعاصر اصبح يعتمد فى بناء نسقة الفلسفى على نتائج البحوث العلمية التى لا يستطيع أن يتجاهلها سواء كانت هذه العلوم علوماً طبيعية أو اجتماعية .

وقد اسهم علم الاجتماع أيضا إسهاماً بارزاً فى حل الكثير من المشكلات الفلسفية مثل مشكلة المعرفة ، ومشكلة القيم ومشكلة الإنسان الأخلاقية والدينية

على المدى الذى يصبح فيه البعض منذراً ومحذراً من أن علم الاجتماع يحاول استئصال المنطق واقتلاع الميتافيزيقيا وهم يعنون بذلك أنه يحاول حل المشكلات الكلاسيكية فى الفلسفة ومن ثم إنهاء عصر التفكير الفلسفى .

ثانياً : علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا:

تتناول الأنثروبولوجيا بالدراسة والتحليل للقضايا المتصلة بالإنسان من حيث هو كائن عضوي له تكوينه الفيزيقي المميز ووظائفه الحياتية المتعددة . كما يختص ببحث التراث الاجتماعى والثقافي لكل المجتمعات البشرية فى الماضي بالإضافة على المشكلات البشرية المعاصره . ولهذا السبب لقب هذا الفرع من العلوم " بعلم الإنسان " وتعود تلك التسمية إلى الطابع الشمولى التكاملى فى الدراسات الأنثروبولوجية التى ترتبط بكثير من المعارف الأخرى، وتشتمل على كثير من الطرق والأساليب المبتكرة فى الكشف عن الآثار والبقايا والمخلفات ، ومن بين هذه الأساليب ما ينتمى إلى العلوم الطبيعية والكيمياء العضوية أو علوم الحياة والفسيولوجيا والجيولوجيا علاوة على العلاقات الضرورية بين فروع علم الإنسان العام وبين علوم الاجتماع والنفس والتاريخ والجغرافيا والاقتصادية والسياسية وغيرها وكان تطورها مرتبط بتطور هذه العلوم وتاريخ تقدمها . فعلى سبيل المثال لم يكن من الممكن معرفة ثقافات ما قبل التاريخ والتى أصبحت الآن فرعا من علم الإنسان الثقافي ويتم دراستها بصورة مستقله فى بعض الجامعات إلا بعد وصول علم الجيولوجيا إلى حقائق تتصل بالتاريخ الزمني ، ووسائل علمية وفنية تكشف عن الآثار المادية والأدوات القديمة جداً ومعرفة مراحل تعاقبها خلال الزمن وقد تم وضع تلك الحقائق فى شكل جداول زمنية يتصل فيها التكوين الجيولوجي ببقايا الإنسان من العظام والمشيرات المتباينة المستويات ، وجوانب النشاط الاجتماعى وأشكال النظم والمتوارثات الاجتماعية والثقافية

فضلا عن الوقوف على ألوان من المعرفة والفنون والأفكار والتصورات العقلية والمزاجية والسلوكية للشعوب فى الماضي البعيد والقريب وفى الحاضر كذلك .

ومن هنا وجب توضيح العلاقة بين علم الإنسان وكافة فروع العلوم الاجتماعية الأخرى وسنقتصر هنا على العلاقة بين " علم الإنسان وعلم الاجتماع ."

- لقد كان السير جيمس فريزر أول من ميز بين علم الاجتماع بإعتباره دراسة المجتمعات الإنسانية وبين علم الإنسان الاجتماعى باعتباره انه يدرس الأشكال الأولية البسيطة للمجتمعات الإنسانية وفى المراحل الأولية من تطورها .

والأنثروبولوجيا هى الأخت الشقيقة لعلم الاجتماع فهما يشتركان فى الكثير من مجالات الدراسة ومن ناحية الموضوع والمنهج بالرغم من التمييز التحصيلى بينهما فعلم الاجتماع يهتم بدراسة وتفسير العلاقات الاجتماعية فى كثير من الجماعات الصغرى والكبرى والأولية والثانوية وعلى مستوى المجتمعات المحلية وغيرها ، وأن مثل هذه العلاقات المتعددة والتي تشتق أساساً من الممارسات وأساليب التصرف المتكررة ينتمي بعضها إلى المجال السوسيولوجى مثل علاقات الزواج والروابط العائلية ، والبعض الآخر ينتمي إلى الإطار الاجتماعي العام السياسي والاقتصادي ممثلا فى علاقة الحكام بالمحكومين ، والبائع بالمشترى وهى علاقات لا تخلو أبداً من المحتوى الثقافى أيضاً ، وتكتسب جميع هذه العلاقات مدلولا تكامليا فى سياق دراسات علم الإنسان التى تتناول المجتمع ككيان واحد أو كوحدة لا تقبل الانقسام . ويعد ذلك أحد السباب التى أدت إلى تمركز دراسات علم الإنسان فى المجتمعات البسيطة والجماعات المحلية والصغيرة حتى يتسنى الباحث الحقلي الإحاطة بمعظم الظواهر والنظم .

وعلى الرغم من أن علم الاجتماع يهتم فى دراساته باتجاهه نحو الحاضر والمستقبل وان علم الإنسان يتجه نحو الماضي فقط إلا أن دراسات علم الإنسان الحديثة مالت إلى دراسة كافة أشكال المجتمعات البدوية والريفية والحضرية والصناعية بجانب الأبحاث الخاصة بدراسات ما قبل التاريخ وتطور نماذج الإنسان الحضري .

ومع ذلك فهناك أختلاف فى العلميين ويمكن عرضهما كما يلي :

1- الاختلافات فى كيفية تناول مجتمع الدراسة :

إن عالم الاجتماع ينظر على المجتمع بطريقة تجزيئية حيث يقوم بعزل الظواهر الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية ودراستها بصورة منفصلة أو قائمة بذاتها أو بعيداً عن سياقها العام كدراسته للطلاق أو الجريمة ... الخ هذا فضلاً عن أن علم الاجتماع يمتزج بالفلسفة الاجتماعية من ناحية والتخطيط الاجتماعى من ناحية أخرى .

أما الباحث الأنثروبولوجي فانه يدرس المجتمع أو الثقافة ككل ولذا وجب هنا أن نفرق بين مدرستين هما :

أ – المدرسة الإنجليزية :

ترتكز هذه المدرسة على البناء الاجتماعى ويعتبر البناء الاجتماعى جزء من كيان الباحث وان كيان الباحث جزء من البناء الاجتماعى . حيث يتخذ الباحث من البناء الاجتماعى بأنساقة المتعددة ونظمه المتباينة وظواهره المتكاملة نقطة البداية والنهاية ، حيث يدرس الباحث البيئة العامة الايكولوجيا ونظمها الاقتصادية والسياسية والاقتصادية ، كما يدرس العائلة وتنظيم القرابة والدين والتكنولوجيا والفنون وغيرها على أنها أجزاء فى نسق عام .

ب – المدرسة الأمريكية :

حيث ترتكز هذه المدرسة على ثقافة المجتمع وليس البناء الاجتماعى فالثقافة هى نقطة البداية والنهاية والباحث فى الانثروبولوجيا أو علم الإنسان يدرس الثقافة ببعديها المادي واللامادي والثقافة هى ذلك الكل المركب الذى يتكون من المعرفة والفنون والعادات والتقاليد والأفكار والتكنولوجيا وغيرها من الحاجات التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فى المجتمع .

والباحث هنا يتخذ من الثقافة وسيلة لفهم الظواهر الموجودة فى المجتمع وتفسير مدى تباين وإمتزاج ثقافة المجتمع مع ثقافة المجتمعات الأخرى ، وما هى السمات الثقافية الموجودة فى المجتمع ؟ وكيف يمكن أن يفسر الباحث من خلال الثقافة تطور النظم الاجتماعية الأخرى وتساندها وإتساقها ؟

2 – الاختلاف فى طرق ومناهج والأدوات المستخدمة فى الدراسة :

يقول ايفانز بريتشارد أن الفوارق بين علم الاجتماع وعلم الإنسان ليست فوارق فى مجال الدراسة فحسب ولكن توجد إلى جانب ذلك اختلافات أخرى هامة فى المنهج نفسه فبينما يعتمد الباحث فى علم الاجتماع على الوثائق والإحصائيات فإن إهتمام الأنثروبولوجي بالإحصائيات محدود . كما أن الباحث فى علم الاجتماع ليس فى حاجة إلى عديد من الوسائل والأدوات التى تمكنه من دراسة ظاهرة واحدة أو نسق واحد فهو يختار وسيلة واحدة أو أداة واحده هى استمارة المقابلة أو الأساليب السسيومتريه أو المقابلات الجماعية أو صحيفة الاستبيان . أما الباحث فى علم الإنسان أو الانثروبولوجيا حيث يتخذ أما البناء الاجتماعى أو الثقافة نقطة البداية والنهاية فانه لا يستطيع التحكم فى هذا البناء الاجتماعى أو هذه الثقافة باستخدام وسيله واحده بل انه يدرس البناء الاجتماعى للمجتمع أو ثقافته دراسة مباشرة عن طريق الملاحظة والمعايشة والمشاركة فى النشاط والممارسات . ويستخدم دليل الملاحظة كذلك يستخدم

الاخباريون وهم كبار السن فى مجتمع الدراسة الذين عاصروا الأحداث والوقائع ويتميزون بالصدق والثقة ، كذلك يستخدم ما يسمى بالطريقة الجينالوجية والتى يستطيع الباحث من خلالها عند دراسته لبناء القوة فى المجتمع أن يرسم شجرة عائله العمدة مثلا وهل العمدة خرج من شجرة كلها من أصول عمديه أم أن هناك عائله واحدة هى التى تحتكر منصب العمدية .

3 – الاختلاف فى الفترة الزمنية اللازمة للدراسة :

وحيث أن الباحث فى علم الإنسان يقوم بدراسة المجتمع وبناؤه أو ثقافته دراسة تكاملية فهو فى حاجة على عديد من الطرق وأدوات البحث ومن هنا فهو فى حاجه على فتره زمنية طويلة تبدأ بسنه وتنتهي ببضع سنوات .

أما الباحث فى علم الاجتماع فهو ليس فى حاجة على فترة زمنية طويلة وأن مدة دراسته قد تبدأ بشهر وتنتهي بعد ستة شهور على أقصى تقدير .

ثالثاً : علاقة علم الاجتماع بعلم النفس :

هناك مجموعة من الاعتقادات الزائفة التى أدت إلى خلق مزيداً من الشقاق بين علم الاجتماع وعلم النفس الأمر الذى أدى إلى وجود فجوة عميقة بين العلمين ساهمت إلى حد كبير فى خلق مزيد من المعوقات فى سبيل دراسة الواقع الاجتماعى ومن بين هذه الاعتقادات هى إصرار علماء الاجتماع الأوائل على أن الهدف الأساسي لعلم الاجتماع هو التوصل إلى مجموعة من القضايا العامة المتعلقة بأحداث اجتماعية معينه، وان أية محاولة لأخذ البناء العقلي للأفراد الذين تنطوي عليهم تلك الأحداث فى الاعتبار غير مثمرة وعميقة ، كما أن أية محاولة لإدخال المفاهيم السيكولوجية فى ميدان البحث الاجتماعى يعد بمثابة نوعا من التحايل .

وعلى الرغم من تصور البعض بان علم النفس يهتم بدراسة الفرد وان علم الاجتماع يهتم بدراسة الجماعة إلا أن هذا التصور لا يقر الحقيقة بشكل

كامل ، حيث إن الجماعة مجموعة من الأفراد تجمعهم علاقة اجتماعية ذات طابع محدود ، والجماعة لا تفكر أو تشعر إلا فى أسلوب مجازى ذلك لأن التفكير والشعور والسلوك لا يصدر إلا عن الأفراد كما أن الانسان الفرد ليس له وجود ، والحياة الإنسانية لا يمكن أن تتحقق إلا فى وسط جمعي ومن هنا يمكن أن يظهر مدى التداخل بين علم النفس وعلم الاجتماع ، ويظهر ذلك بوضوح فى فرع علم النفس الاجتماعى الذى يقع على الحدود بين العلمين .

إن علم النفس يهتم بدراسة السلوك الفردي وحاجات الفرد وقدراته وتنظيمها والدوافع الفردية فى نطاق التكوين الشخصي .

وأن علم الاجتماع يهتم بالتفاعل بين اكثر من شخصين وتأثير كل شخص فى سلوك الآخر فى ضوء علاقة كل فرد بغيره من الأفراد فى محيط الجماعة ، وعلى الرغم من الاختلاف الواضح فى موضوعات اهتمام كل علم على حده إلا أن هناك موضوعات لا حصر لها يشترك فى تناولها كل من علم النفس وعلم الاجتماع كدراسة ظواهر التسول وجناح الأحداث والانتحار وغيرها فمثل هذه الدراسات تهدف إلى التعرف على الأسباب والدوافع التى تؤدى إلى مثل هذا السلوك .

ويمكن هنا أن نتناول بالتفصيل إهتمامات كل من علم النفس وعلم الاجتماع وسوف نحاول هنا معرفة اهتمامات كل من علم النفس وعلم الاجتماع بشكل موضوعي حيث إن كل من علم النفس وعلم الاجتماع يعدا من العلوم الاجتماعية ، وأن كافة العلوم الاجتماعية تهتم بفهم الظروف البشرية وان هذا الاهتمام قد يتجه على التركيز على أهمية السلوك الفردي أو السلوك الجمعى للكائنات البشرية . وأنه على الرغم من أن أهداف جميع العلوم الاجتماعية هى أهداف متطابقة من الناحية النظرية ، إلا أن هذه العلوم تختلف من حيث طرقها فى النظر إلى الأشياء والموضوعات محل بحوثها ، والمناهج

المستخدمة لتوضيح هذه الموضوعات ، وما الذى يمكن القيام به بشأن الاستفادة من هذه المعلومات التى تم الحصول عليها . ومن بين هذا الكم الضخم من العلوم الاجتماعية نجد كل من علم النفس وعلم الاجتماع .

فعلم النفس يمكن أن نستدل عليه من التسمية التى تتضمن الطريقة التى من خلالها يمكن تحديد كل العمليات الاجتماعية والعقلية للفعل . فعلم النفس يهتم بدراسة السلوك الصادر من الكائنات العضوية ، ويعد الانسان أهم هذه الكائنات ، ولكي يمكن دراسته بشكل متكامل لابد من التعرض للنواحي البيولوجية والنفسية والاجتماعية .

ويتركز اهتمام علم النفس حول الفرد فى تفاعله مع البيئة ، الأمر الذى يجعلنا نؤكد على أن علم النفس يعد من العلوم المتداخلة فى عدد من العلوم الأخرى ، ذلك لأنه إذا اعتبرنا علم النفس من العلوم الاجتماعية ، فهو إذن علم سلوكي ، على الرغم من أنه فى بعض الأحيان قد يكون علماً بيولوجياً أيضاً ، ولكن أهتمامه الأول بالفرد جعله اكثر تحديداً من أى علم آخر . كما أن ميدانيه لم يكن فى يوم من الأيام متسعاً كما أن اهتمام علم النفس بموضوعات معينه كالإحساس والإدراك والتفكير جعل بعض الناس يعزلونه خطأ عن دائرة العلوم الاجتماعية على أساس أن هذه الموضوعات يمكن دراستها بشكل مستقل دون ربطها بالبيئة التي يعيش فيها الفرد .

وحينما بدا علم الاجتماع الاهتمام بدراسة التفاعل الاجتماعى بين شخصين أو أكثر ، ودراسة العلاقات الاجتماعية بين الجماعات المتمايزة ضاق الشقاق بين علم الاجتماع وعلم النفس حيث ظهر الشطر الثاني من علم الاجتماع وهو علم اجتماع الوحدات الصغرى وظهر أيضا كل من علم الاجتماع وعلم النفس فرع يسمى علم النفس الاجتماعى ولقد أصبحت موضوعات كل منهما متشابهة لدرجة أن أحد أكبر علم نفس النمو وهوجان

بياجيه كتب فى علم الاجتماع بأسلوب شيق وخاصة فى عرضه للنسبية السوسيولوجية ونقده الموضوعى لفردية تارد وكلية دور كايم .

والعلاقة بين الفرد والمجتمع هى علاقة تبادلية تأثير وتأثر متبادل حيث أن كل من الفرد والمجتمع يسهم فى بناء الآخر وتغيره ، ويجب علينا ان نتخلى عن النظر إلى الفرد والمجتمع كما ينظر الباحث البيولوجى على الخلية والكائن نظرا للاختلاف الواضح بين الحالتين . فالفرد فى حاجة على المجتمع لكى يعيش كما إن المجتمع فى حاجة إلى الفرد لكي يستمر على الوجود ومن هنا يتضح مدى أهمية الصلة بين الفرد والمجتمع وحينما تحاول النظرية الاجتماعية التغاطى عن الفرد نهائيا بإعتباره نتاجا للمجتمع فهي ترتكب خطأ فادح وكذلك حينما تحاول النظرية الفردية أن تجعل للفرد وجوداً مستقلا بعيداً عن المجتمع . حيث أن الفرد فى الواقع ينتمى إلى جماعات متعددة مختلفة البناء والوظيفة تبعا لسنه وجنسه ومهنته ولغته وديانته وطبقته الاجتماعية وأسرته ، وانه إذا إنتزعنا كل هذه الجماعات من عالم الفرد الاجتماعي ، فلن يبقى هناك مجتمع أو جماعة على الإطلاق . فالفرد ما هو إلا عضواً فى المجتمع ومتفاعلاً مع أعضاء الجماعات التي ينتمى إليها ، لذا فإننا يجب أن لا نضعة فى موقف متعارض مع المجتمع كشيء كلى يوجد خارجه أو فى وضع أعلى منه ، بل يمكن وضع الفرد كعضو متفاعل مع الأعضاء الآخرين .

لذا فلقد أرتكب كل من تارد ودور كايم خطأ تحيز الأول للفرد وتحيز الثاني للمجتمع ، وللأسف تبعهم عدد كبير من الباحثين ، فالتعاون أو النزاع فى المجتمع لا يتخذ طرفي الفرد والمجتمع ، وإنما يحدث فى الواقع بين الفرد والفرد أو بين الأفراد والأفراد أو بين الجماعات والجماعات . فالعمليات الاجتماعية الأساسية سواء عمليات تجميعية تعاونيه تعمل على استقرار المجتمع أو عمليات تفريقية صراعيه تعمل على تغير المجتمع تتخذ أشكالاً

عديدة ومتباينة وتعكس طبيعة العلاقة بين الأفراد والجماعات ، وليس بين الفرد والمجتمع .

فالإنسان كائن اجتماعي ثقافي يعيش فى المجتمع ، لذا فهو يجد نفسه مرتبطا بالعديد من العلاقات المتشابكة مع الآخرين فهو يخلق الثقافة التي تؤثر بدورها فى حياته فى المجتمع . ويحدث ذلك من خلال العملية الاجتماعية الأساسية ألا وهى التفاعل الذى يعد العامل المركزى فى حياة الإنسان الاجتماعية ، بل إن كل تنظيم للأنساق السلوكية بدءاً من الذات ونهاية بالمجتمع بل والعالم بأسره راجع فى الأساس إلى عمليات التفاعل الاجتماعى ، وهى تلك العمليات التى تحدث عن طريق وسائل الاتصال المختلفة .

كما أن الطفل الوليد يؤهل للحياة الاجتماعية عن طريق عمليات التفاعل الاجتماعى التي تطلق عليها اسم التنشئة الاجتماعية . وإذا كان الأمر كذلك فإننا يجب أن نبحث صور هذا التفاعل المتكررة والعامة والتي يسميها علماء الاجتماع " العمليات الاجتماعية الاضطرارية ، فعلم الاجتماع يهتم فى المقام بالتكرار والاضطراد فى العلاقات الاجتماعية .

وهناك حقيقة مؤداها أن أى علاقة اجتماعية تتكون من خلال عملية التفاعل الإنساني الذى يقوم على الفعل الهادف ، وتجعل هذه العلاقة السلوك الإنساني ذا طابع تنظيمي . أما المجتمع فهو يعد بمثابة الوعاء الذى يحوى كل أنواع العلاقات الاجتماعية . وللثقافة هنا دور ويكمن دورها فى تلوين هذه العلاقات وصبها فى قوالب محددة . ويعد الفرد بكل ما تخيلوه من عمليات نفسية كالإدراك والتفكير والانفعال ... الخ هو مادة العلاقات الاجتماعية ، فالفرد حينما يتلقى تأثيرات المجتمع والثقافة يصبح شخصا يشرب من وعاء المجتمع ويرتدى عباءة الثقافة . فهناك ارتباط شديد بين المجتمع والثقافة والشخصية وهو ارتباط يجعل من المستحيل عرض كل منها على حدة .

فالحقيقة الاجتماعية بالنسبة لأى سوسيولوجى تقوم على ثلاثة أعمدة الثقافة بإعتبارها المخزون الرئيسي لإبداعات البشر المادية واللامادية بل وهى المصدر الرئيسي للأنماط السلوكية المناسبة لأعضائه . والمجتمع يقوم كنسق من العلاقات المتبادلة بين الأفراد ومن هنا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه وعن ثقافته حيث انه لا يصبح انسانا إلا من خلال التفاعل مع الآخرين فى الجماعة . والتفاعل فى حد ذاته يخضع لنمط الثقافة .

رابعاً : علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد :

إذا كان علم الاقتصاد يدور حول دراسة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك بالنسبة للسلع والخدمات بهدف توجيه هذه النواحي جميعها إلى افضل الاستعمالات الممكنة بغرض إنتاج أكبر قدر ممكن من السلع والخدمات التى يحتاجها ويريدها الإنسان ، فإن ذلك يوضح مدى صعوبة الفصل بين الاقتصاد وبين الأهداف الاجتماعية فى المجتمع ومن هنا تبدو أهمية دراسة الإطار الاجتماعى لكثير من الظواهر الاقتصادية بالنسبة لمجتمع معين فى فترة زمنية معينة – فالإنتاج والتوزيع والاستهلاك ، ما هى إلا عمليات اقتصادية تتم فى كل المجتمعات ولكنها تتأثر بخصائص كل مجتمع من هذه المجتمعات وكذا بالقوى الاجتماعية السائدة فيه ، وحيث تبدو بوضوح أهمية التعرف على القوى الاجتماعية التى تملك وسائل الإنتاج والمبادلة الأساسية .

ولقد أكدت النظرية الماركسية على أهمية العامل الاقتصادى الممثل فى قوى الإنتاج والمبادلة الأساسية – فى ضوء علاقات اجتماعية معينة يدخل الناس فيها بعضهم مع البعض الآخر وينتظمون خلالها فى وضع طبقي معين. حيث يقول ماركس :

إن الأفراد فى حياتهم اليومية يدخلون فى علاقات اجتماعية بعضهم مع البعض الآخر رغم أنفهم ، فتلك العلاقات موجودة ولا مفر منها ، والعلاقات التى تنشأ

بين الأفراد تتحدد وفقاً للقوى المادية وللطبقات المختلفة ، وتلك العلاقات فى مجموعها تكون الهيكل الاقتصادى للمجتمع إذا هى المسئولة عن إيجاد نوع معين من الوعي الاجتماعى لدى الأفراد. وعلى الرغم من أن الفكر الماركسي قد أكد على أهمية العامل الاقتصادى كسبب لنتائج أخرى مترتبة إلا أننا نؤكد أن إرجاع نتائج معينة تدخل فيها أساساً تفاعلات إنسانية اجتماعية إلى مسببات محددة هى مسألة تبدو على قدر كبير من الصعوبة مما يدعو إلى عدم الاطمئنان لنتائجها .

إذن فنحن نستطيع بالتصور الماركسي كأحد الأدوات التحليلية فقط، فمثلاً إذا كانت مطالب المعيشة تمثل دافعاً ملحاً ، بل أهم دافع فى حياة المجتمع يترتب على هذا الدافع عدد من الدوافع الفرعية كبير . فإن علماء الاجتماع يستطيعون أن يتبنوا تحليلاً سوسولوجيا قائما على أساس دراسة عمليات النقد فى نشأتها وتطورها وكافة أشكالها ومدى أدائها لوظائفها . كذلك دراسة عمليات الإنتاج والاستبدال وكيف تطورتا والقوانين التى خضعتا لها .

وكذلك دراسة اتجاهات الأفراد والجماعات نحو هذه العمليات ودراسة العلاقات الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال ... الخ .

من أجل ذلك ظهر مبحث جديد يطلق عليه " علم الاجتماع الاقتصادى " ليعالج هذه الموضوعات الاقتصادية من نواحيها الاجتماعية.

فدراسة مجتمع المصنع والعلاقات بين العمال وأصحاب الأعمال على سبيل المثال تعد دراسة لأثر العادات الاستهلاكية على أسعار السلع، دراسة القيمة الاقتصادية للتعليم ... الخ .

وما هو جدير بالذكر فى هذا المجال أن نوضح إن إهتمام علم الإجتماع بالظواهر والنظم الاقتصادية ليس بالشيء الجديد ، فلقد درس أميل دور كايم خصوصاً فى كتابه الشهير " تقسيم العمل الاجتماعى " الظواهر الاقتصادية

فى المجتمع وإنتهى إلى أهمية تفهم الباحث الاجتماعى لنوع نمط النشاط الاقتصادى السائد فى المجتمع ، كما أن الفرد فى سبيل تحقيقه لمصالحه الاقتصادية إنما يلتزم بمعايير أو سلوك الجماعة التى ينتمي إليها والمجتمع الذى يعيش فيه ... ومن هنا يتطلب الأمر أهمية التعرف على القيم والمعايير السائدة فى المجتمع كمدخل لا بد منه من أجل الدراسة المتكاملة للنظام الاقتصادى فى المجتمع .

كذلك درس ماكس فيبر العلاقة بين الدين والاقتصاد فى المجتمع فى كتبة الشهير " الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " حيث ذهب على أن إهتمام المذهب البروتستانتي بالعمل كواجب يقع على كاهل الفرد المسيحي كان من أهم العوامل التى ساعدت على ظهور النظام الاقتصادى الرأسمالي . إذن فالتفانى فى العمل والإخلاص له يساعدان على نجاح الفرد فى الحياة وبذلك تتكون لدى الفرد ثروة يجب أن يستخدمها لاعلاء شان الدين .

إن المذهب البروتستانتي بهذا الشكل يشجع على العمل والأخذ بزمام المبادرة وتكوين الاستثمارات الفردية وحب التملك ... الخ وهذه كلها هى من دعامات النظام الرأسمالي .

ويمكن هنا أن نشير على أن النظام الاقتصادى فى المجتمع إنما هو جزء من كل فهو يمثل أحد الأنظمة الفرعية العاملة فى نظام أكبر هو المجتمع ، ومن هنا يمكن القول بان دور هذا النظام يتحدد فى ضوء إمكانيات وأدوار النظم الاجتماعية الأخرى العاملة فى المجتمع .

خامساً : علاقة علم الاجتماع بالخدمة الاجتماعية :

تعرف الخدمة الاجتماعية من منظورات متعددة ، فهي تلك الخدمات المهنية التى تؤدى بغرض مساعدة الناس فرادى وجماعات للوصول بهم إلى المستويات التى تليق من الحياة . كما وإنها نظام إجتماعي لابد من وجوده لخدمة النظم الأخرى للقيام بالدور المتوقع منها إذا ما عجزت بإمكانياتها القائمة عن حل مشكلات الإنسان وتحقيق احتياجاته .

ولتحقيق الخدمة الاجتماعية لأغراضها فإنها تحتاج إلى أشخاص مهنيين يعملون داخل مؤسسات ويتوافر لهم مهارات خاصة للقيام بعملهم بهدف تحقيق الرفاهية الإنسانية والحياة الأفضل للأفراد والجماعات والمجتمعات ، بصورة شمولية من جميع النواحي ، ومن خلال ثلاث طرق رئيسية هى خدمة الفرد ، خدمة الجماعة ، تنظيم المجتمع .

ويلاحظ أن ممارسة الخدمة الاجتماعية تحتاج على أساس نظري هذا الأساس النظري يتوفر جانب هام منه عن طريق ما يهتم به علم الاجتماع ، فعلم الاجتماع لا يقدم علاجاً مباشراً للمشكلات بعكس الخدمة الاجتماعية التى تنحى منحا تطبيقيا تستهدف عن طريقه تقديم علاجاً مباشراً لمشكلات الناس . ومن هنا فهي تواكب حركة التغير المستمرة التى تسود المجتمعات الإنسانية ، وهناك جوانب هامة تلزم للأخصائي الاجتماعى لكي يؤدى دوره بالفعالية المطلوب ، فيلزم له معرفة نوعية البنيان الاجتماعى ونوعية وطبيعة الجماعات والطبقات وكذا نوع الثقافة السائدة وعلاقة هذه الثقافة بالفرد والمجتمع ... الخ ، هذه الجوانب التى تحتاج منه إلى فهم شامل للمجتمع . ويلاحظ أن علم الاجتماع يلعب دوراً كبيراً فى هذا المجال . فالخدمة الاجتماعية تبدأ حيث إنتهى علم الاجتماع أى تستخدم الحقائق النظرية التى توصل إليها علم الاجتماع .

سادساً : علاقة علم الاجتماع بالإحصاء :

هناك اتجاه واضح الآن يزداد نمواً باستمرار ويتمثل فى إخضاع الظواهر الاجتماعية للدراسة العلمية المنهجية بالاعتماد على الطرق الإحصائية وهناك فى الحقيقة دراسات سوسيولوجية مبكرة فى هذا المجال نذكر منها دراسات " أدولف كتيليه " " أوجست كونت " " أميل دور كايم " وغيرهم حيث أن الظواهر الاجتماعية يمكن عدها وحصرها ويمكن التعبير عنها بالأرقام .

ولقد ظهر خلال العقد الخير سمات وملامح ما يسمى بعلم الإحصاء الاجتماعى الذى يقوم على دراسة الظواهر باستخدام الرياضيات والأرقام للوصول على قوانين كمية دقيقة تساعد على فهم تحليلي تطوري اعمق لخصائص هذه الظواهر بما يساعد على التنبؤ المستقبلي لاتجاهات نموها .

سابعاً : علاقة علم الاجتماع بالتاريخ :

أن فهم الحاضر لا يستقيم إلى حد بعيد بمعزل عن معرفة الماضي، ويعد التاريخ بمثابة دراسة للماضي وللكيفية التى تطورت بهاالمجتمعات الإنسانية ويتم ذلك فى صورة مرحلية أي خلال مراحل محددة الملامح فى شكل منظم .

ويلاحظ أن فهم أية ظاهرة اجتماعية وموقف اجتماعي يتطلب معرفة الظروف التى ساعدت على تشكيل هذا الموقف وتحديد أبعاده ، وعلى الرغم من أهمية ذلك فإن التاريخ لا يستطيع أن يسعفنا ويقدم لنا تفسيراً كاملاً عن الكيفية التى تطور بها الحاضر فى صورته الراهنة كنتاج للماضي ، ومن هنا يلاحظ أن علم الاجتماع فى تفسيره لهذه الظاهرة يهتم بها فى صورتها الحاضرة ويرجع إلى الماضي دائما فى صلته بهذا الحاضر .

وتاسيساً على ذلك يمكن القول بأن علم الاجتماع يستطيع أن يسهم بتقديم التفسير الكامل لظاهرة حدثت فى الماضي ، وبالتالي يقدم تنبؤاته بالشكل الذى ستأخذه هذه الظاهرة فى المستقبل .

وإجمالاً يمكن القول بان معرفة التاريخ لها أهميتها بالنسبة للباحث السوسيولوجى ليزداد فهمه الشمولي العميق لموضوعات دراساته والتاريخ يقدم له المادة اللازمة .

ثامناً : علاقة علم الاجتماع بالفن والجمال :

يجسم الفن طائفة واسعة من التجربة الإنسانية ، والعواطف ، والمعتقدات والأفكار ، ويعبر عنها فى صور جمالية تخاطب الحواس وتوقظ الاستجابات العاطفية والفكرية فى العقل البشرى .

والفن ميدان هام من ميادين الثقافة فهناك الفنون الجميلة حيث الموسيقى والأدب والفنون المرئية ، وهناك الفنون المركبة كالرقص والمسرح والأوبرا. وهناك الفنون التطبيقية التى تتضمن الأنواع الخاصة كالخوف وتصميم النسيج والرسم والدقيق . وهناك الفنون الواسعة الانتشار والتى تتمثل فى السينما وموسيقى الجاز وقصص المجالات والتمثيليات الإذاعية والتليفزيونية.

وعن أوجه الارتباط بين علم الاجتماع والفن يمكن القول أن عملية الاختراع الفنى لا تقوم على التصورات فحسب فهى ليست ترفيها أو شروداً بالذهن أو تفكيراً فيما هو وراء الطبيعة فحسب ، وإنما تقوم عملية الخلق الفنى على تحليل كل الرموز الاجتماعية ، ومن ثم فإن هذه العملية تفترض فى كل مرة تجارب تختلف عن الأخرى حسب اختلاف العلاقات الاجتماعية والعواطف والمشاعر . وهكذا يعالج الفن نموذج معين من المجتمعات .

وتساهم عملية الخلق الفنى فى حل بعض المشكلات السوسيولوجية الفنية كطبيعة التفاعل الاجتماعى وأساليب التغير الثقافى . وكون أن دراسة الفن تعتمد على نقل المعانى فهى بذلك تلقى ضوءاً كبيراً على هذه الظواهر الاجتماعية . وأن الجوهر الحقيقى للفن يكمن فى اهتمامه بالتعبير عن العواطف والأفكار ونقلها فى صورة رمزية . ولا شك أن دراسة ما يجب على

الفنان أن (يقوله) وكيف يقوله ، وكيف يستقبل رسالته (من جانب الجمهور) يمكن أن تزيد فهمنا لعملية الإتصال الاجتماعى الواسعة التى تجعل المجتمع شيئاً ممكنا . أن فعل الفنان فى أى مجال ما هو إلا امتداد لمد جسور الإتصال الاجتماعى بين هذا الفنان والمجتمع .

وعلاوة على ذلك يمكن أن يكون الفنان المبدع نفسه بؤرة مفيدة الدراسة التغير الاجتماعى والثقافى ، لأنه غالباً ما يكون حساساً بدرجة زائدة لما يعترى النظام الاجتماعى من توترات . وبالتأكيد فإن إحساسه سوف ينعكس على إنتاجه .

ويمكن لعالم الاجتماع أن يدرس الفن ومعايير الجمال من زاوية ارتباطها بالحياة الاجتماعية ، ويوجه جهوده نحو دراسة العلاقات الاجتماعية والأبنية الاجتماعية والمعايير والأدوار التى تتميز بها مهمة الفنان ، فالدراسة السوسيولوجية للفن تساهم فى فهم كل البناء الاجتماعى والتغير الثقافى .

ولقد أكدت مدام دى ستيل فى كتابها " الأدب وعلاقته بالنظم الاجتماعية " المنشور عام 1850 " أن أدب أى مجتمع من المجتمعات يجب أن ينسجم مع المعتقدات السياسية السائدة فى ذلك المجتمع . وكانت ترى أن الأدب يجب أن يصور المتغيرات الهامة فى النظام الاجتماعى . وكانت تطالب بضرورة أن يكون الأدب إنعكاساً للروح الجمهورية السائدة فى السياسة الفرنسية من خلال تقديم شخصيات المواطنين والفلاحين فى أعمال جادة – كالتراجيديا – مثلاً – بدلاً من قصرها على الكوميدياً .

وأكد كارل ماركس أن نظام الإنتاج فى وقت معين يحدد مضمون الفنون وأسلوبها فى ذلك المجتمع . وكان يرى أن هناك ارتباطاً بين الميول الفنية والأوضاع الطبقية . فعلى حين نجد أن الفلاح الانجليزى يغنى ويرقص

للأغنيـة الشـعبية ، فـإن الطبقـة الأرسـتقراطية كانـت تحتقـر هـذا اللـون مـن الموسيقى مفضلة عليه الأنشودة الغزلية .

ولقد عرض أرنست جروس فى كتابه " بدايات الفن " 1893 القضية التى مؤداها أن الفن يعكس مرحلة التنظيم الاقتصادى التى يعيش فيها المجتمع . وناقش جروس قضية تغير وظيفة الفن من العصور القديمة حتى الحضارات الحديثة . وقدم الرأى الذى مؤداه أن أهم وظيفة للفن عند الشعوب البدائية هى التوحيد بالمجتمع ، إلا أن وظيفة الفن فى المجتمعات الحديث تضيف على هذه الوظيفة وظيفة أخرى إلا وهى إثراء العقل والعواطف والسمو بها .

فالفنان من وجهة نظر علم الاجتماع يولد فى مجتمع ذى ثقافة خاصة، وينشئه مجتمعه تنشئة إجتماعية بطريقة تؤثر فى شخصيته ، كما تؤثر بوجه خاص – فى اتجاهه إزاء الفن ودخوله إلى العالم الفنى عن طريق التدريب الرسمى أو التلمذة أو جهوده الفردية . وما أن يتخذ الفنان الفن حرفة له حتى يعمل فى الفرع الذى اختاره ، مستخدماً الأساليب الفنية ، والتراث والقيم والمواد التى يقدمها له مجتمعه فهذه الأشياء تنتقل اجتماعياً ، وعلى الفنان أن يستخدمها أو أن يبتكر أساليب جديدة يعبر بها عن آرائه وقيمه وعواطفه الفنية.

وإذا ما أراد أن يعيش كفنان ، فإن عمله يجب أن يجذب إنتباه جمهور معين ، ومن هنا تبدأ محاولاته بالإتصال بالمؤسسات والأجهزة المختلفة العاملة فى هذا الميدان كالمعارض الفنية ودور النشر ... الخ حيث أن تلك الأجهزة قادرة على تحديد أى الأعمال الفنية التى يكون لها تأثير على الجماهير وخاصة جماهير الفن والنقاد . وهنا يتحدد مصير العمل الفنى بصورة مباشرة ، ويقوم الفنان بتغيير أو تعديل أسلوبه فى الرسم أو الكتابة أو التأليف الموسيقى .

فالفن مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي ، وانه إذا تعرض هذا النشاط لأي نوع من التطور أو التعديل أو التغيير ، فإن مثل هذا التطور أو التعديل أو التغيير لابد وأن ينعكس تماماً على الفن (فهناك علاقة بين الفن والمجتمع وهذه العلاقة ليست علاقة اعتمادية تبعية أى أنها ليست علاقة يؤثر فيها أي منهما على الآخر تأثيراً مطلقا دون تأثير مقابل للطرق الآخر ، فهناك علاقة تفاعلية ، تبادلية ، تكاملية ، وهى علاقة تأثير وتأثر فإذا كان الفن يؤثر فى المجتمع وذلك من خلال التعبيرات الصادقة للفنان عن ما يختلج به صدره وما يؤمن به من أفكار ، فإن المجتمع يؤثر فى الفن وذلك من خلال تلك الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يمر بها المجتمع وما يتيحه هذا المجتمع من حرية للفنان ليعبر عن أحاسيس الأفراد المكونين لهذا المجتمع . فالفن بإختصار شديد هو قوة خلاقة وليس مجرد لسان ينطق عن عصره ، فهو يعبر دائماً عن بعض عصره ، وعن شئ يتجاوز عصره ، وعن شئ اقل من عصره .

تاسعاً : علاقة علم الاجتماع بالسياسة :

فى الحقيقة هناك صعوبة تبدو واضحة فى التوصل إلى تعريف جامع مانع لعلم السياسة ، فالسياسة politic كمفهوم يشير إلى تحديدات لأهداف وقيم تشكلت بواسطة الحكومة وسائر المؤسسات السياسية وغيرها فى المجتمع ، كما تشير بالتحديد المطلق إلى الإدارة المسئولة والإجراءات الشرعية لتحقيق الأهداف .

ويدخل فى نطاق مصطلح السياسة عادة أنشطة متعددة تتصل بالقضايا المطروحة والمتداولة بين الناس ، وكذا بمسائل التنظيمات أو الأحزاب السياسية وما يتصل بالمناورات السياسية والتصويت فى الانتخابات .... الخ .

وهذه كلها وغيرها تمثل أنشطة سياسية تندرج تحت ما يتضمنه مصطلح السياسة من معنى ... ولكننا على الرغم من صعوبة تحديد مفهوم للسياسة يهتم بهذه المسائل والمشكلات جميعاً ، إلا أننا فى حاجة إلى أن ندرس هذه الأمور وغيرها بالعمق الكافى ومن منظور متكامل ، فقد أصبح المدخل المتكامل مطلباً ملحاً للدارسين والباحثين وصولاً إلى تحديد الموضوعى لطبيعة الظواهر موضوع الدراسة وأدوارها وإدراكها إدراكاً شاملاً .

ويلاحظ أن السياسة تتداخل مع مفاهيم وعلوم أخرى اجتماعية وإنسانية فى إطار من ظروف عالمية متغيرة باستمرار .

ويركز علم السياسة على دراسة الحكومة أو الدولة وتحليل العلاقة بين الأفراد وحكوماتهم فى ضوء قواعد مقررة ومعقولة وشرعية وذلك خلال منظور متكامل ومتعدد الأبعاد ... فالنظم السياسية لا تنبثق من فراغ ولا تعمل مستقلة عن غيرها من النظم .

ولما كان علم الاجتماع – كموضوع ومنهج – يرتبط بعلاقات متعددة مع غيره من العلوم الأخرى الاجتماعية وغير الاجتماعية ، نجد أن اهتماماته تركز على نواحى متعددة داخل المجتمع الواحد ، فهذه النواحى لها أهميتها فى الدراسة السوسيولوجية . ومن أهم هذه النواحى الثقافية ، أنماط السلوك وطبيعة الحياة الاجتماعية ، وخصائصها ، والتفاعل الاجتماعى ، والتنظيم ، والشخصية ، والبناء الاجتماعى وغير ذلك من النواحى التى تحدد موضوع العلم ومنهجه فى دراسة هذه النواحى جميعاً من منظور متكامل من زاويتى البناء ، والوظيفة فى ضوء علاقة هذه الأجزاء ببعضها البعض ومدى التأثيرات المتبادلة بينها داخل المجتمع الواحد .

ومن هذا التصور الموجز لطبيعة العلمين يلاحظ ارتباط علم الاجتماع بالدراسات السياسية .

فدراسات علم السياسة تنقسم عادة إلى ثلاثة فروع أساسية :

الفرع الأول : وهو النظريات السياسية وحيث ينصب مجال الاهتمام هنا على دراسة الفكر السياسى دراسة تاريخية تطورية تتعرض لمراحل هذا الفكر وأشهر النظريات التى ظهرت خلاله ، وفى حقيقة الأمر فإننا لا نملك أن نضع حذاً فاصلاً بين تاريخ الفكر السياسى وتاريخ الفكر الاجتماعى .

الفرع الثانى : وهو مؤسس تقريباً على الفرع الأول ، فالعمليات السياسية تدرس بوصفها تعبيراً عن مركب من العلاقات السوسيولوجية والسيكولوجية.

الفرع الثالث : ويركز على دراسة الدولة ونظم الحكم وعلى الأخص الحكومة كنظام سياسى من زاويتى البناء والوظيفة .

وإذا كان علم الاجتماع – كما سبق أن أوضحنا يدرس مختلف نواحى الحياة فى المجتمع فبالتالى يلاحظ أنه من الصعوبة بمكان تصور أية دراسة للمجتمع تخلو من تحليل للنسق السياسى باعتباره من أهم مكونات البناء الاجتماعى ، من حيث اهتمام علم السياسة بالسلطة وتتمثل فى الهيئات الرسمية فى المجتمع .

ومن هذه الزاوية بالتحديد ، وفى ضوء ما سبق أن ذكرنا يمكن القول بأن كلاً من السياسة والاجتماع كعلمان يتبنيان نظرة شاملة للتنظيم الاجتماعى ولعل هذا هو السبب فى ظهور علم الاجتماع السياسى كفرع من فروع علم الاجتماع – تدور بحوثه وتصب مجالات اهتماماته حول موضوعات ذات طابع سياسى واجتماعى فى نفس الوقت ... فى ضوء تصور محدد هو أن " الواقع السياسى تابع للواقع الاجتماعى " .

وفى ضوء هذا التصور يمكن تحديد أهم أوجه العلاقة فى النواحى التالية :

أولاً : أن علم الاجتماع يهتم بالإنسان بوصفه نتاجاً للحياة الاجتماعية وبوصفه متأثراً بالسلوك الاجتماعى السائد وبأنماط التفاعل بين الناس والعادات والتقاليد والثقافة وشكل النظم السائدة ... الخ . أى يهتم علم الاجتماع بالبناء الاجتماعى ككل وبموقع الإنسان داخل هذا البناء وبدوره ووظيفته فيه .

ويلاحظ من هذه الزاوية أن علم السياسة يهتم بتحليل للظواهر السياسية فى ضوء البناء الاجتماعى خصوصاً بعد أن تطورت مفاهيم مصطلحات جديدة مثل : النسق الاجتماعى ، الجماعة السياسية ، بناء القوة ، كمفهومات ومصطلحات تلائم دراسة الواقع الاجتماعى السياسى الجديد .

ثانياً : يركز علم الاجتماع على دراسة السلوك الإنسانى وبظهور علم الاجتماع السياسى political sociology بدأ واضحاً تركيز المتخصصين فى هذا العلم على دراسة السلوك الإنسانى – بدأ واضحاً تركيز المتخصصين فى هذا العلم على دراسة السلوك الإنسانى – فى المحيط السياسى – والذى يظهر مثلاً فى عمليات التصويت والاقتراع فى الانتخابات واتجاهات الناس تجاه القضايا السياسية المعاصرة وعضوية الحركات والمنظمات السياسية وعملية اتخاذ القرارات .

ثالثاً : لما كان السياسة يركز جانباً من اهتمامه على دراسة المنظمات والتنظيمات من زاوية التعرف على الوسائل الكفيلة بضمان فعاليتها . نجد أن علم الاجتماع يهتم بدراسة البيروقراطية وعلى الأخص فى نواحيها الباثولوجية (المرضية) .

هذه هى بعض الجوانب للعلاقة بين علمى السياسة والاجتماع مما يؤكد أن التعاون بينهما وثيق خصوصاً بما يتعلق بالإفادة من مناهج البحث والنتائج . "

الأمبيريقية " ومراعاة التغييرات المستمرة على النتائج باستمرار ، خصوصاً وأن فكرة التغير هى فكرة واردة فى علم الاجتماع ولها أهميتها .

عاشراً : علاقة علم الاجتماع بالجغرافيا :

يدرس علم الجغرافيا البيئة الطبيعية وما تحويه من موارد تحت الأرض كالمعادن المختلفة وما فوقها كالنباتات والغابات والجبال ، بالإضافة إلى التضاريس والمناخ ولا يمكن لدارس أن ينكر اثر البيئة الطبيعة فى حياة الإنسان ، ومدى تفاعله سواء مع غيره أو مع البيئة نفسها ، وبمعنى آخر فإن نشاط الإنسان الإجتماعى والإقتصادى مرتبط أشد الإرتباط بنوع البيئة الجغرافية . ولعل تأثير هذه البيئة يبدو واضحاً إذا تتبعنا قيام الحضارات الأولى حيث نجد أنها قامت إلى جانب الأنهار الكبيرة ، لما تبعثه هذه الأنهار بمياهها وطميها من عوامل الخصب والحياة والاستقرار على ضفاتها . ولا شك أن هذه التأثيرات البيئية كانت ولا تزال قائمة فإكتشاف آبار البترول فى الصحراء تحولها إلى منطقة عمرانية وإكتشاف معادن أو مناجم معينة يساعد على إقامة منشآت سكنية وبدء حياة فى المنطقة ، وقيام الزلازل والبراكين قد يدفع الناس إلى الهجرة ، وتصبح المنطقة جرداء مجدبة ولعل الأعاصير التى تتعرض لها بعض الولايات فى أمريكا سبتمبر 2..5 خير شاهد على ذلك . ونظراً لوضوح التأثيرات البيئة فى حياة الإنسان الاجتماعية فقد غالى بعض المفكرين من أمثال إبن خلدون وميشيليه وراتزل فى تقدير قيمية العوامل الجغرافية ، ومبلغ تأثيرها فى شئون الحياة الاجتماعية ن غير أن هذه المغالاة والمبالغة فى تأثير تلك العوامل كانت تنطوى على خطأ بالغ لأن الإنسان إذا كان يخضع فى تكيفه لظروف البيئة الجغرافية ، فإنه أيضاً هو الذى استطاع أن يوجد البيئة التى تلائمه وترضيه ، وهو الذى لا يكف عن المحاولات تلو المحاولات ليسخرها وفق إرادته ويستغلها وفق حاجته ، ويخلق منها المكان

المناسب لحياته بالتقليل من ضراوتها وصعوبتها . ومما لا شك فيه أن الإنسان كلما تقدم فى مدارج النمو الحضارى ، وقطع شوطاً فى العلوم والتكنولوجيا كلما أمكنه التخفيف من اثر العوامل الجغرافية ، وكلما أمكنه أن يتحكم فيها ويستفيد منها لخدمة الإنسان ومنفعته .

حادي عشر : علاقة علم الاجتماع بالإدارة :

يعتبر علم الإدارة من العلوم الاجتماعية التى استقلت حديثاً عن الإقتصاد وأخذت مفاهيم مثل Management أو Administration وإن كان المفهوم الأخير يطلق ليس فقط على طبيعة إدارة المؤسسات أو التنظيمات الصناعية الإنتاجية ولكن أيضاً على التنظيمات السياسية أو الحكومات . ولقد إرتبط علم الإدارة كغيرة من العلوم الاجتماعية ذات الحداثة النسبية مقارنة بالعلوم الاجتماعية التقليدية أو الكلاسيكية ، بعلم الاجتماع نظراً للإهتمامات المتزايدة لعلماء هذا العلم والمتخصصين منه ولاسيما فى السنوات الأخيرة وأصبحت مجالاته وميادينه تتداخل على الكثير من العلوم وفروع العلوم الاجتماعية ذاتها .

فلقد جاءت اهتمامات عالم الاجتماع ، لتدرس جميع المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية social organizations ، كاملة ، وأن علم الاجتماع يدرس الأفراد والجماعات ليس فقط باعتبارهم أفراد مجردين ، ولكن أيضاً عن طريق وجودهم كأعضاء دخل تنظيمات ومؤسسات اجتماعية مميزة، ويعتبر علم اجتماع التنظيم sociology of organization أحد المجالات العامة لعلم الاجتماع ، والذى يهتم بدراسة طبيعة الإدارة داخل التنظيمات الاجتماعية المختلفة والتى يقوم بدراستها علماء الاجتماع بدءاً من الشركات العالمية والشركات العملاقة حتى دراسة جماعة أو تنظيمات عصابات الأحداث أو الجناح .

وعموماً فإن مهمة علم الاجتماع لا تكرس فقط لدراسة الأفراد والجماعات باعتبارهم أفراد عاديين ، ولكن تفسر سلوكهم وأنشطتهم وتفاعلهم داخل التنظيمات الاجتماعية التى يولودن ، ويتربون ، وينشئون ، ويعملون ، ويرفهون فيها ، أو يوقع عليهم الجزاء والعقاب أيضاً ، فهى أنماط من التنظيمات الاجتماعية التى تلعب دوراً فى تشكيل السلوك والنشاط حسب طبيعة أهدافها وقواعدها التى تحددها معايير التنظيم الاجتماعى الذى يتكون من الأفراد والجماعات . أن نتعدد اهتمامات عالم الاجتماع وتنوع مجالات اختصاصاته جعلته يشارك كثير من علماء العلوم الاجتماعية وفروعها المختلفة فى الكثير من الموضوعات والقضايا والمشكلات الاجتماعية التى توجد فى المجتمع الحديث .

ثانى عشر : علم الاجتماع القانونى وعلاقته بعلم الاجتماع العام :

إن دراسة أية ظاهرة اجتماعية لابد وأن تتم فى ضوء علاقتها بكل الظواهر الاجتماعية الأخرى ، لذلك لأن الظواهر الاجتماعية جميعها تمثل مظاهر مختلفة لظاهرة واحدة هى المجتمع الإنسانى . وهناك إدراك متزايد من جانب العلماء الاجتماعيين لضرورة تحقيق التكامل بين مختلف التخصصات العلمية . بحيث يستعين كل فريق من العلماء بالمعرفة التى توصل إليها غيرهم حول نفس الظاهرة من أجل الوصول إلى فهم شامل لها ، بل إن هؤلاء العلماء بدأوا يقومون بإجراء بحوث مشتركة تضم مختلف التخصصات فى آن واحد ، واصبح هناك ما يعرف بالاتجاه متعدد التخصصات فى دراسة الظواهر الاجتماعية .

وعلم الاجتماع القانونى الذى يتخصص فى دراسة القانون بوصفه ظاهرة اجتماعية لا يمكنه الوصول بحال إلى فهم علمى متكامل لهذه الظاهرة إلا إذا استعان بما توصلت إليه كافة فروع علم الاجتماع الأخرى من نتائج (مثل

علم الاجتماع الأسرى والريفى والحضرى والتربوى والسياسى والاقتصادى ... الخ) بل وبما توفر من معرفة فى العلوم الاجتماعية الأخرى التى تدرس نفس الظاهرة . كما أن المعرفة التى يتوصل إليها علم الاجتماع القانونى تسهم فى وجهة أخرى فى إثراء لمعرفة فى غيرة من فروع علم الاجتماع بصفة خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة .

ويقول الدكتور سمير نعيم أنه يمكن أن نستدل من ذلك على أن علم الاجتماع القانونى هو أحد فروع علم الاجتماع الذى يتخصص فى دراسة جانب معين من الحياة الاجتماعية (الجانب القانونى) من أجل الوصول إلى فهم هذا الجانب من جهة وإثراء المعرفة بالحياة الاجتماعية ككل من جهة أخرى .

وإذا حاولنا التطرق إلى التعريف علم الاجتماع القانونى لوجدنا أن هناك عديد من التعريفات المختلفة حيث يركز كل تعريف على جانب أو أكثر من جوانب هذا العلم وهذه الاختلافات بين التعريفات لا ترجع إلى اختلافات جوهرية فى وجهات نظر أصحابها حول ماهية علم الاجتماع القانونى بقدر ما ترجع إلى حقيقية أن هذا المفهوم يشير إلى زاهرة متعددة الجوانب شأنه فى ذلك أى مفهوم آخر ، ومن شأن ذلك حدوث اختلاف بين من يتصدون لتعريفه حسب تركيز كل منهم على جانب معين عن الشئ المراد معرفته .

ويعرف نيقولا تيماشف علم الاجتماع القانونى بأنه " علم صياغة القوانين ويرمى إلى كشف القوانين التى من طبيعة علمية متضمنة المجتمع فى علاقته بالقانون " . ويمثل القانون فى نظرة قوة اجتماعية ، وتتمثل وظيفته الاجتماعية فى فرض معايير السلوك الاجتماعى على إرادة الفرد .

ويعرف آدم بودجورسلى علم الاجتماع القانوني بأنه " يهدف إلى الكشف عن العلاقات المتبادلة بين القانون وبين غيره من العوامل الاجتماعية

الأخرى (حيث يمكن اعتبار القانون إما عاملا مستقلا أو عاملا معتمداً) ليس هذا فحسب ولكن مهمته تتجاوز ذلك إلى محاولة بناء نظرية عامة تفسر العمليات الاجتماعية المتصلة بالقانون ، وبهذه الكيفية يمكن الربط بين هذا الفرع من المعرفة وبين المعرفة الاجتماعية بصفة عامة "

ويعرف ادوين سذرلاند علم الاجتماع القانوني بأنه " محاولة تحديد المبادئ التى تحكم تطور القانون واستخدامه ، وهو يشترك فى هذا الهدف مع فلسفة القانون والفقه الاجتماعي ، وقد ظهر هذا التخصص فى علم الاجتماع منذ حوالي عام 1960 .

أما عن العلاقة بين علم الاجتماع القانوني وعلم الاجتماع العام فهي علاقة أخذ وعطاء أو هى علاقة تبادلية فالنظرية الاجتماعية العامة ترشد الباحث فى علم الاجتماع القانوني وتزوده بالمفهومات الأساسية وتحدد له أساليب وأدوات البحث التى يختار منها ما يلائم الظاهرة موضوع بحثه ، كما إن ما يتوصل غليه عالم الاجتماع القانوني من نتائج ومبادئ عن الظاهرة القانونية ونشأتها وتطورها وعلاقتها بغيرها من الظواهر الاجتماعية يساعد على صياغة وتعديل وتطوير هذه النظرية واستخلاص مزيد من التعميمات العلمية عن الظاهرة الاجتماعية ككل . إلا أن هذه العلاقة النموذجية بين علم الاجتماع القانوني (وغيره من فروع علم الاجتماع) وبين النظرية الاجتماعية مازالت غير متوفرة تماما . فعلم الاجتماع مازال يعانى حتى الآن من تعدد النظريات فيه بحيث لا نستطيع أن نجد نظرية واحدة متفق عليها من جميع العلماء أو معظمهم ، كما أن هناك حالة من الانفصام بين النظرية الاجتماعية من جهة والبحوث الامبريقية أو التجريبية من جهة أخرى . أما فيما يتعلق بتعدد النظريات فى علم الاجتماع فإن أحد علماء النظرية الاجتماعية وهو نيقولا تيماشيف يصف هذا الموقف بقوله " هناك فى العلوم

الطبيعية كالفيزياء أو الكيمياء – بوجه عام – نظرية واحدة فقط على مستوى عال من التجريد ، أو مجموعة من النظريات المرتبطة ، التى يكمل بعضها بعضاً لكن هذه العلوم قد وصلت على هذه المرحلة من النضج بعد أن مرت بمرحله النظريات المتصارعة التى قد تتمثل فى نظريتين أو أكثر يتعايشون معاً. ومازال الحال كذلك فى علم الاجتماع ، حيث لا يوجد إطار من القضايا المتسقة أو المتجانسة أو اصطلاحات صادقة يتفق عليها علماء الاجتماع تسمح بعرض الوقائع المعروفة والتعليمات بوصفها استقاقات منطقية لمبادئ محددة ، بل إن علم الاجتماع قد تميز فى نموه وتطوره بظهور مجموعة كبيرة وغير عادية من النظريات المتصارعة .

ويعبر عاطف غيث عن الموقف النظري فى علم الاجتماع المعاصر بقوله " تعددت المواقف النظرية فى علم الاجتماع الحديث ، حتى أصبحت معالجة موضوعاته من خلال موقف نظري واحد مخاطرة كبيرة على حساب الوضوح والتحليل الصحيح ، بالإضافة على عدم إمكان التصور الكامل للحقيقة الاجتماعية كما أن الانحياز الأيديولوجي يكون أمراً من الصعب تجنبه. ولهذا يميل عدد من الباحثين فى علم الاجتماع اليوم على تبنى نظرية متعددة الجوانب أو الالتزام بتعدد العوامل عند التفسير والتحليل "

ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك التعدد فى المواقف النظرية فى علم الاجتماع العام على موقف علم الاجتماع القانوني حيث أن تعدد المواقف النظرية العامة ، فى علم الاجتماع العام لابد وأن يترتب عليها تعدد مماثل فى وجهات النظر الاجتماعية الخاصة بالقانون ، بل حتى فى أساليب البحث المتبعة فيه ونوعية المادة التى يهتم عالم الاجتماع القانوني بجمعها وتحليلها . وعلى هذا فمثلها نجد ما يسمى بمدارس علم الاجتماع، لابد وأن نجد أيضا ما يسمى بمدارس علم الاجتماع القانوني .

أمـا فيمـا يتعلـق بحالـة الانفصـام بـين النظريـة الاجتماعيـة والبحـوث الامبيريقيـة أو التجريبيـة فـى علـم الاجتمـاع بوجـه عـام فإننـا نجـد بالضـرورة انعكاسـا لهـا فـى علـم الاجتمـاع القـانوني . فمثلهـا نجـد نظريـات اجتماعيـة شـبه تاملية لا تعتمد صياغتها على وقـائع وأدلـة ماديـة اجتماعيـة ، وهـى مـا اسماها عـالم الاجتمـاع الأمريكـي برايـت ميلـز بالنظريـات المتضـخمة أو النظريـات الكبرى تجد أيضاً نظريات فى علم الاجتماع القانوني تنقصها الأدلـة ولا تزيـد عن كونها وجهات نظر لأصحابها ، ومثلها نجد فى علم الاجتماع بصفة عامـة ما أسماه ميلز بالامبيريقية المتجزئة أي تلك الدراسات التجريبية التـى ترتكز على أساس نظري ما ولكنها تنطلق لتجمـع البيانـات والمعلومـات عن كل شـئ وأي شئ يراه الباحث مهمـا دون خطـة نظريـة عامـه ودون ربـط هذه البيانـات وبعضها البعض بل حتى دون محاولة لتفسيرها ، فإننا سوف نجد هذا الاتجـاه فى علام الاجتماع القانوني .

وبنـاء علـى ذلك نستطيع القول بـان طبيعـة العلاقـة بين علـم الاجتمـاع القانوني والنظرية الاجتماعية العامة سوف تحددها بالفعل طبيعة النظرية التـى يرتبط بها عالم الاجتماع القانوني .

ثالث عشر : علم الاجتماع وصلته بعلم الطبيعة :

يرتبط علم الطبيعة أو الفيزياء بعلم الاجتماع منذ أن ظهر علم الاجتماع ذاته ، وهذا ما يعكس عموماً أسباب استخدام أوجست كونت مصطلح الفيزياء الاجتماعية ، ليهتم بدراسة المشكلات والظروف الاجتماعية التى ترتبط بالإنسان ووجوده فى المجتمع ، ولاسيما أن هناك الكثير من العلوم الفيزيائية التى تهتم بدراسة مشكلات الكون والبيئة الخارجية . ويهتم عالم الطبيعة والفيزياء بدراسة البيئة الطبيعية ، وأيضاً التعرف على الكائنات والمخلوقات التى تعيش فيها بما فيها أيضاً المخلوقات البشرية ، وذلك بهدف السيطرة على الطبيعة وخضوعها من قبل الإنسان للمساهمة فى وجوده وتكيفه ورفاهيته فى نفس الوقت .

ومن هذا المنطلق ، ظهرت علوم مشتركة بين علم الطبيعة والعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع على وجه الخصوص مثل علم الايكولوجيا Ecology ، الذى يكرس عموماً لدراسة البيئة الطبيعية والاجتماعية بمفهومها العام . ويشترك بالطبع مع علم الاجتماع علوم الاجتماعية أخرى مثل الجغرافيا وغيرها فدراسة توزيع السكان وكثافتهم وإقامتهم فى الحضر أو الريف إنما يرجع إلى مجموعة من الظروف البيئية الايكولوجية والتى تتحكم فى هذا التوزيع أو معدلات الثقافة . كما أن دراسة أسباب الهجرة وأنواعها المختلفة ترتبط بطبيعة الظروف البيئة والإيكولوجية ، علاوة على حدوث التوازن الطبيعى أو عوامل الطرد والجذب للسكان التى لا يمكن تفسيرها ، إلا عن طريق الإستعانة بالكثير من الأساليب الاجتماعية والإيكولوجية والطبيعة

فى نفس الوقت ، وهذا ما يفسر عموماً أهمية التعاون المشترك بين العلوم الطبيعية والاجتماعية عامة .

حقيقة ، أن علم الطبيعة يهتم بالدرجة الأولى بدراسة عناصر البيئة المكانية أو الكونية ، ولكن علم الاجتماع كأحد العلوم الاجتماعية يهتم بدراسة مكونات وأسباب وعوامل ومظاهر البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها الإنسان ذاتها . ومن ثم ، فإن مهمة علم الاجتماع توجه لدراسة الظروف البيئية المكانية والاجتماعية والثقافية عموماً التى تحيط بالإنسان والتى عن طريقها يتم تفسير سلوكه وأنماط شخصيته وتفكيره وتعايشه مع الآخرين . وهذا ما جعل على سبيل المثال أن كثير من علماء ومفكرى علم الاجتماع الأوائل يركزون على دراسة العوالم البيئية والاجتماعية – الطبيعة فى نفس الوقت مثل اثر توزيع السكان فى المناطق الجبلية أو السهول أو الوديان ، أو تأثير درجات الحرارة والبرودة على الأنشطة الاقتصادية ، أو حتى أنماط العمل والإنتاج . كما يهتم علماء الاجتماع بدراسة العوامل البيئية المكانية وتأثيرها على الوضع الاقتصادى ، ومستويات الجريمة والانحراف ، والبطالة ، وطبيعة الإقامة والمستوى المعيشى وغيرها ولاسيما عند دراسة المناطق العشوائية أو المختلفة slums areas على سبيل المثال .

بإيجاز إن علاقة علم الطبيعة بعلم الاجتماع تفسر مهمة هذين العلمين معاً وأهدافها لكيفية إعداد كل من البيئة الطبيعية (المكانية) والاجتماعية والثقافية لخدمة الإنسان ، ومحاولة تكيفه عموماً ليعيش بصورة مرضية ن تجعله قادراً على الإستمرار فى البقاء والوجود ، وتسعى لحل مشكلاته التى تظهر بصورة مستمرة ، والحد من نتائجها السلبية ، وهذا ما ينادى به الكثير من المتخصصين فى العلوم الطبيعية والاجتماعية من ضرورة تبنى المدخل

المتعـدد بـين العلـوم عنـد دراسـة المجتمـع وبيئتـه الطبيعيـة والايكولوجيـة والاجتماعية فى نفس الوقت .

رابع عشر : علاقة علم الاجتماع بالبيولوجيا والفزيولوجيا :

تدرس البيولوجيا والفزيولوجيا طبيعة الإنسان بصفته كائناً حيا ن يتكون من خلايا وأنسجة وأجزاء حية ، كما تهتم بدراسة أعضاء جسم الإنسان المختلفة وتطورها ووظائفها وأثر هذا التطور فى نشاط الإنسان الاجتماعى . وقد تأثر علم الاجتماع بهذه الدراسات لدرجة أنه يمكننا أن نلمح أثر هذا فى استخدامه لكثير من المصطلحات العلمية الخاصة بهذه الدراسات مثل : الأسرة أول خلية فى المجتمع ، التشريح الاجتماعى ، التركيب العضوى ، المجتمع ذات حية ، وظائف وبنية المجتمع ... الخ. هذا وقد بالغ بعض العلماء من أمثال (هربرت سبنسر) فى تقدير أهمية العوامل الحيوية فى مجال المجتمع لدرجة أنهم فسروا ظواهر الحياة الاجتماعية فى ضوء تفسيرهم لظواهر الحياة، وذهبوا إلى حد أنهم اعتبروا علم الاجتماع فرعاً من علم الحياة العام .

خامس عشر : علم الاجتماع وصلته بعلم الطب :

يرتبط علم الطب بعلم الاجتماع باعتبارهما أولاً علمان يدرسان مشكلات الإنسان فى المجتمع ، ويسعى كل منهما لاستخدام نظرياته ومناهجه وطرق بحثه وأدوات جمع بياناته الخاصة لدراسة المشكلات والقضايا التى يهتم بها . كما يهتم عالم طب والطبيب الممارس بدراسة علم الاجتماع نظراً للضرورة الملحة التى يمكن عن طريق الاسترشاد بطرق البحث الاجتماعى وأساليب دراسته وتحليله لدراسة الظواهر الاجتماعية . وهذا ما جعل معظم دول العالم

من عقود طويلة تدرس فى كليات الطب بها علم الاجتماع ، وهذا ما طبق بالفعل فى العديد من جامعات الدول العربية والدول النامية . واصبح علم الاجتماع الطبى sociology Medical من أهم فروع علم الاجتماع المتخصصة التى يلتقى من خلالها فكر وتصورات وآراء كل من علماء الاجتماع والطب فى نفس الوقت .

كما أصبحت هناك فروع أخرى متخصصة فى علم الاجتماع والتى يطلق عليها سوسيولوجيا المستشفى sociology of hospitals أحد المجالات الهامة التى تهتم بدراسة الأمراض المتوطنة ، ونظم إدارة المستشفيات ، وأساليب رعاية المرضى ، والطاقة الإنتاجية المثلى لكل من الفئات العاملة بالمستشفى مثل الأطباء ، وهيئة التمريض ، والفئات المهنية المعاونة الأخرى. ويهتم علماء الطب والاجتماع عموماً بالاستفادة المتبادلة من خبرات تخصصاتهم المهنية والأكاديمية . فعالم الطب أو الطبيب عادة لا يمكن أن يشخص حالة مرضاه دون الرجوع إلى كثير من المتغيرات السوسيولوجية : مثل التاريخ المرضى للمريض وأسرته ، وما يعرف بالحالة المرضية ، والوضع الطبقى ، والمهنة ، والدخل ، والأسرة ، ومستوى التعليم والثقافة وغير ذلك من متغيرات ضرورية قبل أو خلال مراحل العلاج التى تقدم إلى المريض ذاته .

وعند دراسة الأمراض وتوطنها فى المجتمعات وكيفية القضاء عليها أو التخفيف من حدتها يلجأ الأطباء إلى الاستعانة بخبرات علماء الاجتماع. وهذا ما أكده الكثير من المتخصصين فى علم الاجتماع الطبى مثل فردسون Friedson وجلاسر Glasser وغيره من العلماء الذين أكدوا على ضرورة استخدام المداخل السوسيولوجية المختلفة عن تشخيص الأمراض سواء للمرضى أو بدراسة طبيعة الأمراض التى توجد فى المجتمع ،

والأساليب التى تؤدى إلى تفاقمها أو الحد من سلبياتها. وهذا ما ظهر أخيراً عند دراسة الأمراض مثل الإيدز ، والسرطان ، والكوليرا ، والتيفود ، والبلهارسيا وغيرها ، خاصة وأن هناك أنواع معينة من الأمراض تكون متوطنة فى مناطق معينة دون الأخرى مثل أنيميا وأمراض البحر المتوسط وفقر الدم وغيرها . ومن ثم فإن دراسة الأمراض من قبل علماء الطب أو الاجتماع تلزم التعرف بوضوح على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والشخصية للمرضى حتى يمكن تقدم سبل العلاج اللازمة .

علاوة على ذلك فإن استجابات المرضى للعلاج أو التماثل للشفاء أو الاستعداد لإجراء العمليات الجراحية تلزم الأطباء ضرورة التعرف على أساليب سوسيولوجية معينة للتعامل مع مرضاهم والتى يطلق عليها علماء الاجتماع الطبى علاقة الطبيب بالمرضى Doctor paitent relationship والتى على ضوئها يتم معرفة أراء المرضى وتحليل استجاباتهم نحو معالجتهم من الأطباء أو هيئات الطب المختلفة ، كما نجد كثيراً من الأفراد المرضى أو البسطاء يرفضون أخذ العلاج الذى حدده الطبيب لأن مدخل الطبيب أو أسلوبه أثناء العلاج لم يكن أسلوباً اجتماعياً، وهذا ما يفسر مدى إقبال المرضى على طبيب معين دون الآخر ، بالإضافة طبعاً إلى متغيرات الخبرة الطبية والتشخيص الجيد .

عموماً بعد انتشار كليات الطب المختلفة والمنظمات العالمية مثل منظمة الصحة العالمية (W H O) Wrold Health organization وغيرها من المنظمات على المستويات الإقليمية والقومية ، والتى تؤكد دراستها على ضرورة تبنى المداخل السوسيولوجية من قبل الأطباء عند معالجة مرضاهم ، أو دراسة أسباب حدوث وانتشار الأمراض فى مناطق معينة من العالم دون الأخرى ، وكيفية الحد من الآثار السلبية للأمراض الاجتماعية مثل الإيدز على

سـبيل المثـال ، والتـى لا يمكـن معرفـة أسـببها دون الرجـوع إلـى العوامـل الاجتماعية البيئية المحلية والعوامل الأخلاقية والدينية التى توجد فى المجتمع ، وهذا بالطبع يدخل فى مجال اختصاصات عالم الاجتماع .

سادس عشر : علم الاجتماع وصلته بالهندسة :

يكشف تحليل تراث علم الهندسة وفروعه المختلفة مثل العمارة ، وتخطيط المدن ، والإنشاءات ، والإنتاج ، الميكانيكا ، وغيرها عن مدى العلاقة بين اهتمامات علماء الهندسة وعلماء الاجتماع ولاسيما فى السنوات الأخيرة ، فعلم التشييد ، أو تخطيط المدن والبناء والعمارة لا يمكن أن يتجاهل على الإطلاق البيئة الاجتماعية والوضع الاقتصادى والمهنى ، والطبقى ، والمستوى لثقافى وغير ذلك من محكات سوسيولوجية عند القيام بإنشاء المشروعات الهندسية مثل إقامة مناطق صناعية أو سكنية أو مشروعات هندسية أخرى مثل إقامة مناطق سكنية أو عمارات لمحدودى الدخل أو الطبقات العليا أو المتوسط فى المجتمع على سبيل المثال .

كما أن فنون تسويق الإنتاج الهندسى بصفة عامة مثل تسويق المشروعات الهندسية أو هندسية لإنتاج أو تصميم الآلات أو غيرها ، تضع فى اعتبارها مجموعة من الاعتبارات السوسيولوجية ولاسيما أن المشروعات الصناعية أو الإنتاج الهندسى بصورة عامة لا يمكن أن يسوق أو ينشأ إلا لمجموعة من الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات المحلية . ومن هذا المنطلق ، أصبح علم الاجتماع أحد العلوم الهامة التى تدرس ليس فقط على المستوى العالمى ، ولكن أيضاً فى العديد من المجتمعات العربية ومنها المجتمع المصرى . كما نجد الكثير من الباحثين وطلاب الهندسة يقومون بدراسة المجتمع دراسة مستفيضة قبل قيامهم بإجراء المشروعات الهندسية أو المعمارية ، وهذا ما ينطبق على سبيل المثال لا الحصر ، قيام طلاب العمارة وتخطيط المدن بإجراء دراسات

اجتماعية مستفيضة على طبيعة المجتمع المحلى قبل إنشاء أى مشروعات هندسية ليعرفوا على طبيعة الحياة الاجتماعية ، ونوعية السكان والوضع الاقتصادى والأسرى "الطبقى عامة" .

علاوة على أن دراسة تاريخ العمارة والهندسة أو نوعية الإنشاء والبناء فى المجتمع الحديث ، لا يمكن أن يتجاهل مجموعة العوامل والمؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمهنية والطبقية والتشريعات القانونية التى ارتبطت بها طبيعة نماذج العمارة والهندسة التى وجدت بالفعل ، كما تصنف كثير من فنون العمارة والبناء إلى مجتمعات معينة مثل العمارة الفرعونية أو الإسلامية أو المسيحية أو حسب طبيعة المجتمعات مثل البريطانية والإيطالية وغيرها .

وعموماً فإن إقامة أى مشروع هندسى حتى لو كان تشييد معبر صغير أو كوبرى على ترعة أو نهر لعبور المشاة أو غيرها أو حتى مشروعات ما يعرف بهندسة المرور لا يمكن أن تتجاهل نوعية احتياجات السكان فى المجتمع المحلى لهذا المشروع واحتياجات المستفيدين منه . وهذا ما يطلق عليه عموماً بدراسات الجدوى studies Feasibility للمشروعات الهندسية كغيرها من المشروعات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإنتاجية فى نفس الوقت، كما أن تصميم المبانى مثل المستشفيات والمدارس ، أو المصانع أو الإدارات الحكومية أو غيرها يتطلب إعداد المشروع حسب نوعية الفئات الإجتماعية التى سوف تعمل أو تستفيد منه على وجه الخصوص . وهذا بالطبع يعتمد كثيراً على الدراسات والمداخل السوسيولوجية التى تعزز من قيمة هذه المشروعات قبل تنفيذها أو بعدها أيضاً .

الفصل الرابع

مناهج ونظريات البحث فى علم الاجتماع وأدواته

- مقدمـــــة :
- أولاً : مناهج البحث الاجتماعي
- ثانياً : أدوات جمع البيانات
- ثالثاً : نظريات علم الاجتماع

مقدمـــــة :

لعلم الاجتماع دوران أساسيان لا غنى لأحدهما عن الآخر ويبدو فى إطارها دور العلم كاملاً . الدور الأول نظرى يمكن من خلاله التعرف على طبيعة الحقائق الاجتماعية ونشأتها وتطورها ودراسة العلاقات بين الأفراد ، التعاون، الصراع ، ودراسة الوظائف الاجتماعية التى تحكم ظواهر الاجتماع .

الدور الثانى عملى : وهو دور تطبيقى عملى حيث الاستفادة من الدراسة النظرية فى الجوانب التطبيقية العملية للحياة الاجتماعية للوصول إلى القوانين التى تحكم سير الحياة الاجتماعية .

أولاً : مناهج البحث الاجتماعى :

ومن أهم المناهج فى علم الاجتماع هى :

1. المنهج التاريخى :

ويقصد به تتبع سير الظاهرة الاجتماعية قديماً وفى الوقت الحالى ذلك لأن الوصول إلى تعميمات صادقة فى علم الاجتماع يستند إلى أن يثبت هذا الصدق فى ضوء الأبعاد الزمانية والمكانية المختلفة .

ومن أهم المصادر التى يستند عليها هذا المنهج ما يلى :-

(1) الوثائق التاريخية المكتوبة منها كالمذكرات والمخطوطات . وقد تكون شفوية كالحكم والأمثال والأساطير والأغانى ، وقد تكون مصوره كالنحت والرسم والصور والنقود والآثار .

(2) الاخباريون أى الأشخاص الذين لاحظوا الظاهرة وشاهدوا تلك الوقائع .

(3) المراجع المهتمة بتاريخ الثقافة .

2. المنهج التجريبى :

وهذا المنهج مستعار من العلوم الطبيعية ويتم تطبيقه فى علم الاجتماع – رغم اعتراضات البعض عليه – على أساس جمع البيانات بطريقة تسمح باختبار عدد من المفروض عن طريق التحكم فى مختلف العوامل التى يمكن أو تؤثر فى الظاهرة موضوع الدراسة والوصول بذلك إلى العلاقات بين الأسباب والنتائج .

3. منهج دراسة الحالة :

ويقصد به جمع البيانات بصورة تفصيلية تشمل جميع جوانب الحالة التى يدرسها الباحث والتى قد تكون شخاً أو جماعة من الأشخاص كالأسرة أو النظام الاجتماعى أو المجتمع المحلى .

4. منهج المسح الاجتماعى :

ويقصد به وصف الجوانب المتعلق بموضوع الدراسة والتى قد تكون مجتمعاً أو جماعة ، وجمع حقائق الواقع الاجتماعى فى صورة كمية وكيفية حتى يمكن تفسيرها وصولاً إلى وضع فروض لعلاقات جديدة . وهناك نوعان من المسوح :

- مسح شامل لجميع مفردات المجتمع .
- مسح بالعينة أى اختبار عينه ممثلة (عشوائية – طبقية – عمدية).

5. المنهج المقارن :

ويقصد به مقارنه ما سجله الباحث عن الظاهرة موضوع الدراسة فى مجتمع معين بما هو مسجل عن نفس الظاهرة فى مجتمع آخر مشابه له أو مختلف عنه فى نفس الزمن ، أو المقارنة بين الظاهرة الاجتماعية فى نفس المجتمع ولكن فى فترتين زمنيتين متعاقبتين .

ثانياً : أدوات جمع البيانات :

هناك العديد من الأدوات التى يستخدمها الباحث فى علم الاجتماع منها ما يلى:-

1- الملاحظة :

ويقصد بالملاحظة أن يوجه الباحث حواسة وعقله إلى طائفة خاصة من الظواهر لا لمجرد مشاهدتها بل لمعرفة صفاتها وخواصها وتفحص الوقائع البسيطة على أن تكون الملاحظة مركزة بعناية ، وأن تكون موجهة لغرض محدد .

وهناك نوعان من الملاحظة هما :

أ- الملاحظة المنظمة : وتستخدم لأغراض الوصف والتشخيص للتأكد من صحة الفروض .

ب- الملاحظة بالمشاركة : وهى تقتضى المعيشة الكاملة للباحث مع عينة البحث لملاحظاتهم من أجل التعمق فى معرفة خصائصهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويشترك أن يقبله مجتمع البحث كأنه واحد منهم.

2- المقابلة :

وهى حوار لفظى وجها لوجه بين الباحث والمبحوث (شخصاً أو مجموعة أشخاص) بهدف الوصول إلى المعلومات التى تعبر عن الآراء أو الاتجاهات .

وهناك نوعان من المقابلة هما :-

أ- مقابلة حرة : ترك المبحوث يتحدث عن آرائه ومشاعره ورغباته.

ب- مقابلة مقننه : يتحكم فيها المبحوث بنوع معين من الأسئلة .

3- الاستبيان :

وهى أعداد استمارة بها مجموعة من الأسئلة للحصول على بيانات ويمكن تنفيذها عن طريق المقابلة الشخصية أو البريد .

ثالثاً : نظريات علم الاجتماع :

النظرية فى علم الاجتماع تعد بمثابة مجموعة من القضايا المترابطة منطقياً والقابلة للتحقيق الأمبيريقى والواقعى وتنطوى على دعاوى ومسلمات أساسية .

ويجب الإشارة إلى أن البحث دون سند من نظرية أو دون اتجاه نظرى ليس إلا نوع من العبث ، وذلك لأن النظرية فى علم الاجتماع مستمدة أصلاً من نتائج دراسات عملية أجريت فعلاً فى الواقع الاجتماعى وليست مستمدة من النظر العقلى المجرد .

وتؤدى النظرية فى علم الاجتماع الوظائف الآتية :

1- تلخيص عدد من الحقائق الاجتماعية وأيضاً العلاقات الموجودة بينها وتنسيقها فى إطار علمى متكامل .
2- التنبؤ بما يحدث للظاهرة من تحول فى إطار التغير الذى يحدث فى المجتمع ككل أو فى الجماعات أو المجموعات ، وهذا التنبؤ مبنى على قياس المستقبل المجهول بالحاضر المعلومة وقائعة وأحواله وكذلك فى ضوء ما أمكن استقراؤه من التجارب الاجتماعية التى وقعت فى الماضى .
3- تساعدنا النظرية على إحداث التغيرات التى نريدها فى البيئة التى تحيط بنا ، فالنظرية لكى تكون مقبولة عليها أن تتيح لنا السيطرة على المحيطة بنا البيئة وأن تقدم لنا أيضاً تفسيراً للوقائع والظواهر التى تحكمها .
4- تمدنا النظرية بالمعرفة عن الأشياء التى تخضع للملاحظة وهى بذلك تؤدى وظيفة أخبارية أو معرفية تشبع واحدة من أقوى الحاجات الإنسانية وهى حاجة الإنسان إلى معرفة البيئة المحيطة به .

ومن هذا المنطلق يمكن إدراك أهمية استخدام النظرية فى البحث العلمى.

ولقد كانت هناك العديد من النظريات المتصارعة التى تفسر الظواهر الاجتماعية كانت أشبه بوجهات نظر فلسفية ، وكانت تتسم بغموض المفاهيم ، ووهن العلاقات بين القضايا المتضمنة لها . حيث إن محاولات تفسير الإنسان للوقائع والظواهر المحيطة به قديمة قدم المجتمع الإنسانى نفسه ومن أمثلة هذه النظريات كتابات رجال اللاهوت وسقراط وأفلاطون وأرسطو ومونتسكيو وفولتير وبنتام .

كما ظهرت نظريات ذات العامل الواحد أى تعتمد فى إدراكها للواقع الاجتماعى على جانب واحد من الجوانب المكونة لهذا الواقع ، ومنها النظرية الجغرافية وتنطلق هذه النظريات من قضيه مؤداها أن عناصر البيئة الجغرافية (الموقع ودرجة الحرارة أو المناخ) هى العامل المؤثر فى الظواهر الاجتماعية ومن رواد هذه النظرية إبن خلدون وكتيليه وجيرى – وكذلك النظرية البيولوجية وهى من النظرية ذات العامل الواحد ومؤدى هذه النظرية أن التكوين الفيزيقى للفرد هو العامل الحاسم فى تفسير الظواهر الاجتماعية (لمبروزو) .

ونجد أيضاً النظرية النفسية التى ترى أن التكوين النفسى والعقلى للفرد هى العامل الحاسم فى تفسير الظواهر الاجتماعية " فرويد " إلا أننا فى علم الاجتماع نجزم بعقم كافة النظريات السابقة فى تفسيرها للظواهر الاجتماعية ذلك لأن الظاهرة الاجتماعية تتسم بالتكرار ويصطبغ تكرارها بالانتظام فى بعض قطاعات البناء الاجتماعى .

فالنظريات السوسيولوجية تتناول الظواهر الاجتماعية باعتبارها واقعة متكررة الحدوث فى البناء الاجتماعى وثقافته ، كما تهتم أيضاً بالتغيرات التى تطرأ على صور الظاهرة ومداها فى المجتمع الواحد .

ويمكن تلخيص كافة النظريات السوسيولوجية فى إطار نوعين من النظريات :

1. النظرية الماركسية :

ترى هذه النظرية أن العامل الاقتصادى هو المحدد الرئيسى لبناء المجتمع وتطوره وأن هذا العامل هو المحدد الأساسى لمكونات البناء الفوقى الفلسفة الدين ، الأيديولوجيا ، الفن ، العلم ، القانون . وترى الماركسية أن تاريخ المجتمعات هو تاريخ الصراع بين الطبقات وأن كل كرحلة من مراحل تطور المجتمعات يحدث فيها تغيرات كمية تتراكم هذه التغيرات حتى تحدث تغيراً كيفياً ينقلها إلى مرحلة تالية ، وأن النموذج الشيوعى هو النموذج الأمثل .

2. النظرية البنائية الوظيفية :

تستخدم هذه النظرية المماثلة بين المجتمع والكائن العضوى فالكائن العضوى يتألف من أجزاء كل جزء يسهم فى بقاء واستمرار الكائن العضوى فى حياته ومحافظا على كيانه الكلى .

فالمجتمع من وجهة نظر رواد البنائية الوظيفية ما هو إلا مجموعة من الأنساق تسهم فى بقاء المجتمع ككل واستمراره محافظا على توازنه. وهذا الإسهام هو الوظيفة التى يؤديها النظام الجزئى من أجل استمرار الكل وهى تماثل الوظائف التى يؤديها أعضاء الجسم وأجهزته حتى يستمر وجوده .

إلا أن هناك فارقا فى المماثلة بين البناء العضوى والبناء الاجتماعى ويتخلص هذا الفارق فى أن توقف أى جهاز فى البناء العضوى عن أداء عمله يموت البناء العضوى ويفنى ، إلا أن توقف أى نسق اجتماعى عن أداء دوره فى البناء الاجتماعى لا يؤدى إلى فناءه . فعملية الإحلال والإبدال قائمة فالموت لفرد أو لجماعه لا يؤدى إلى فناء المجتمع .

والقضايا الرئيسية التى تعتمد عليها هذه النظرية هى كما يلى :

1- أنه يمكن النظر إلى أى شئ سواء كان كائنا حياً أو اجتماعياً وسواء كان فرداً أو مجموعة أو مجتمعاً أو حتى العالم بأسره على أنه نسق أو نظام ، وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة . فحسم الإنسان نسق يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة .

2- لكل نسق احتياجات أساسية لابد من الوفاء بها ، وإلا فإن النسق سوف يفنى أو يتغير جوهرياً ، فالجسم الإنسانى يحتاج للأكسوجين والنتروجين ، والمجتمع فى حاجة لأساليب تنظيم السلوك الإنسانى (القانون) ومجموعة لرعاية الأطفال (الأسرة) وهكذا .

3- لأبد أن يكون النسق دائماً فى حالة توازن ولكى يتحقق ذلك فلابد أن تلبى أجزاؤه المختلفة احتياجاته فإذا إختلت وظيفة أحد الأجزاء فإن الكل يصبح فى حاله عدم إتزان .

4- كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفياً أى يسهم فى توازن النسق وقد يكون ضاراً وظيفياً أى يقلل من توازن النسق وقد يكون غير وظيفى أى عديم القيمة بالنسبة للنسق .

5- يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلاً يمكن أن نقوم بها الأسرة أو دار الحضانة ، وحاجة المجتمع إلى التماسك قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجى .

6- وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة ، فالتحليل الاجتماعى الوظيفى لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينه أطفالها ، ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف .

وهدف التفسير الوظيفى هو الكشف عن كيفية إسهام الأجزاء فى تحقيق تكامل النسق واستمراريته أو كيفية الأضرار بهذه الاستمرارية .

وسميت بالبنائية الوظيفة لأنها تحاول فهم المجتمع فى ضوء البنيات التى يتكون منها هذا المجتمع والوظائف التي يؤديها هذه البنيات.

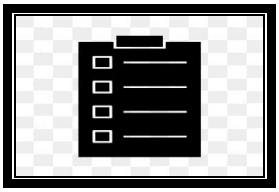

أعرض لظاهرة اجتماعية موجودة في المجتمع من اختيارك ؟ وأعرض لمناهج وأدوات البحث المناسبة لدراستها ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل الخامس

التغير الاجتماعي

- مقدمة .
- أولاً : مفهوم التغير الاجتماعى .
- ثانياً : أنواع التغير الاجتماعى .
- ثالثاً : عوائق التغير الاجتماعى .
- رابعاً : عوامل التغير الاجتماعى .

مقدمـــــة :

يعد التغير الاجتماعى أحد المبادئ الأساسية التى ينهض عليها الوجود الاجتماعى بجوانبه الطبيعية وغير الطبيعية ، فالتغير سمة لصيقة بحياة الإنسان وأفكاره والتجمعات البشرية التى أقامها . وعلى الرغم من أن دراسة التغير الاجتماعى من الاهتمامات المعاصرة لعلم الاجتماع ، إلا أن الفلاسفة والمفكرون على مر العصور قد لاحظوا التغير الاجتماعى والسياسي وتأملوه وطورا نشأته وأضافوا أفكارا ربما تكون قد شكلت الرصيد المعرفي التى تطور من خلاله مفهوم التغير الاجتماعى الحديث .

ولعل من أول من لفت الانتباه إلى قوانين التغير العامة التى تحكم كل الأشياء هو فيلسوف الونان القديم هراقليطس (540 – 475 ق . م) الذى أطلق عبارته الشهيرة والتى قال فيها أن الإنسان لا يستطيع أن يضع قدمه فى نهر واحد مرتين " ثم جاء أفلاطون (427 – 347 ق . م) ليحلق بنا فى الخيال محاولا تفادى التغيرات الحادثة فى المجتمعات والمؤدية إلى زيادة الحاجات والمطالب التى تؤدى بدورها أيضا إلى إحداث تغيرات سريعه وهكذا تعرضت المجتمعات للفساد الأمر الذي دعى أفلاطون إلى تكوين مدينته الفاضلة " التى لا يدركها التغير ، ثم جاء أرسطو (384 – 322 ق . م) الذي يرى أن المجتمعات تتغير وفق قانون ثابت هو قانون الانتقال من البسيط على المركب ومن التجانس إلى اللاتجانس ... الخ من الأفكار . كما عرض ابن خلدون للتغير فى عبارات عديدة نذكر منها المباينه بالجملة والتبدل بالجملة.

كما أن تاريخ النظرية السوسيولوجية يوضح انه منذ بدء مرحلة التنوير ظهرت الدعوة إلى التطور والنمو والتقدم ، وذلك فى ضوء التيارات الفكرية المتعددة فى هذه المرحلة .

ولقد تأكد نفس الاهتمام خلال المرحلة الكلاسيكية من تاريخ النظرية السوسيولوجية . والتى تتسم معظم النظريات التى ظهرت فى ذلك الوقت بالطابع الثوري ، وتعد نظريات كارل ماركس فى هذا الصدد أكثرها انتشارا. والتى تؤكد أن وسائل الإنتاج هي العنصر الأساسي فى البناء الاقتصادي وهى التى تشكل دائما قوى التغير الدافعة ، وأن تاريخ المجتمعات ليس إلا تاريخ الصراع الطبقي . كما كانت من أهم النظريات فى هذه المرحلة نظريات دور كايم وسبنسر وماكس فيبر . وتوصف كل هذه النظريات بأنها نظريات عاملية أى تنظر للحقيقة من زاوية واحدة . وبعضها يغفل الزوايا الأخرى تماما ، إلا أن البعد الآخر يعطيها قدرا من الاهتمام. ولقد أفادت هذه المرحلة النظرية السوسيولوجية فى مراحلها التالية ، حيث أن كل منها جمع قدراً كبيراً من المعطيات التى تؤكد على فاعلية العامل الذى تراه متغيرا مستقلا .

أما المرحلة الحديثة والمعاصرة فى تاريخ النظرية السوسيولوجية فقد تميزت هذه المرحلة بإختلاف رؤيتها للتغير الاجتماعى من خلال تأكيدها على جماعية العوامل والتفاعل ، ولقد طرحت هذه النظريات بعض الأفكار الدقيقة التى تدور حول الإجابة على التساؤلات الآتية : ما هو الشيء الذى يتغير ؟ وكيف يتغير ؟ وما هو اتجاه التغير ؟ وما هو معدل التغير ؟ ولماذا حدث التغير ولماذا كان ممكنا ؟ وما هى العوامل الرئيسية فى التغير الاجتماعى؟

فالتغير هو سمة الحياة الاجتماعية ، فكل شئ فى الوجود الاجتماعى يتعرض على التغير ، والمجتمعات الإنسانية أيا كانت أشكالها تتصف بأنها فى تغير دائم ، إلا أن معدل التغير قد يتخلف من مجتمع إلى آخر فى اتجاهه أو معدله ، فإذا كان التغير يحدث بمعدلات سريعة ، فيوصف المجتمع بأنه " دينامى " أما إذا كان التغير يحدث بمعدلات بطيئة نسبيا فيوصف المجتمع بأنه " استاتيكى " وكلما كانت درجة التغير أكبر تكيفا ، كلما كانت درجة المستوى

الثقافة للمجتمع أكثر تقدما ، كما أن للتغير آثاره الاجتماعية الواضحة، وغير المحدودة أيا كانت معدلات هذا التغير ، فآثاره تمتد لتشمل كل نشاك الحياة الاجتماعية ، وما تنطوى عليه من علاقات ومؤسسات وروابط من الناحيتين البنائية والوظيفية الذى يحدث فى أية ظاهرة أو نظام لأي مجتمع لابد وأن ينعكس ذلك على باقي الظواهر والنظم الأخرى بدرجات متفاوتة ، ذلك لأن ظواهر المجتمع ونظمة متماسكة ومترابطة ومتداخلة ومتكاملة فى بنائها التركيبى والوظيفى [1] ويرى " روبرت بارك " أن التغير الاجتماعى يؤدى على التفكك الاجتماعى ، حيث يقول " نحن نعيش فترة من التفكك الاجتماعى، فكل شىء فى حالة تهيج ، وكل شىء يبدو أنه عرضة للتغير ، وان أى شكل من أشكال التغير ينتج عنه تحول وتبدل يمكن قياسه فى روتين الحياة الاجتماعية يميل إلى تحطيم العادات التى تقوم عليها التنظيم القائم . وكل وسيلة جديدة تؤثر فى الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعى لها تأثيرها الواضح فى التفكك ، وكل اكتشاف جديد ، وكل اختراع جديد وكل فكرة جديدة تعتبر شيئا مزعجا ومقلقا . ومن الواضح اذن أن أي شئ يجعل الحياة أكثر جاذبية وتشويقا يعتبر خطراً على النظام القائم [2]. ويود أن يشير الباحث إلى أنه لا يتفق مع رأى " روبرت بارك " الذى يقصر التغير الاجتماعى على الجانب السلبي منه متجاهلا التغيرات الاجتماعية الارتقائية التى يكون لها أثارها الإيجابية على كافة مظاهر الحياة الاجتماعية . فالتغير الاجتماعى السلبي يؤدى على التفكك الاجتماعى أما التغير الاجتماعى الإيجابي فله أثاره الحميدة التى يمكن أن تقضى على مظاهر التفكك الاجتماعى . ولماذا نذهب

---

(1)احمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع ، القاهرة ، نهضة الشرق ، 1983 ، ص ص 120 – 121 0

(2) سناء الخولى : التغير الاجتماعى والتحديث ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1985 م ، ص ص 170 – 171

بعيدا فإن قيام الثورة 23 يوليو 1952 م فى مصر أحدثت آثاراً إيجابية على كافة مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... الخ .

وفى سبيل محاولتي لعرض منهج مبسط لطلاب قسم الاجتماع فاننى سأتناول هذا الموضوع فى ضوء النقاط التالية :

1 – مفهوم التغير الاجتماعى .

2 – أنواع التغير الاجتماعى .

3 – عوائق التغير الاجتماعى .

4 – عوامل التغير الاجتماعى .

أولا : مفهوم التغير الاجتماعى :

لقد شغلت قضية " التغير الاجتماعى " رواد علم الاجتماع الأوائل أمثال " أوجست كونت وكارل ماركس وهربرت سبنسر ودور كايم وهوبهوس " إلا أنه يلاحظ أن مفاهيم التغير ، والتطور ، والنمو ، والتنمية والتقدم ، كانت تختلط فى بعض الأحيان ، أو يربط المفكر بينهم جميعاً فى مفهوم واحد ، وكان يحدث فى حالات أخرى أن يفرق العلماء بين هذه المفاهيم [1] .

وعن مفهوم التطور الاجتماعى يمكن القول بان هذا المفهوم استعير من نظريات التطور البيولوجي ، حيث نجد على سبيل المثال، هربت سبنسر " يعقد – فى مؤلفاته – مقارنة بين المجتمع والكائن الحى ، وكان متأثراً فى ذلك بالنظرية الدارونية فى النشوء والارتقاء والآلية التى يحدث بها التطور فالمجتمعات فى راية تتطور من حالة يعمل فيها الناس نفس النوع من العمل إلى حالة من التخصص والتعاون . ولقد أشار بعض علماء الاجتماع المحدثين إلى عدم جدوى التناظر بين التطور البيولوجى والتطور الاجتماعى نظراً للاختلاف الشاسع بين النظرية البيولوجية والنظريات المختلفة للتطور الاجتماعى . والتطور بمفهومه الحالى " هو الحالة الطبيعية للمجتمع الإنساني، فهو يشبة التغير فى أنه سمة الحياة الاجتماعية ، فكل مجتمع لا يخلوا من

---

(1) للمزيد من المعرفة حول هذا الموضع يمكن الرجوع على المؤلفات الآتية :

- **احمد رأفت عبد الجواد : (1983) ، مرجع سابق ، ص ص 125 – 126**
- **بونوبور : تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرين ، ط 5 ، القاهرة ، دار المعارف 1981 ، ص ص 395 – 406**
- **احمد الخشاب : التغير الاجتماعى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1971 ، ص ص 20 – 22**
- **سناء الخولى : مدخل إلى علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 1987 ، ص ص 242 – 252**
- **صلاح العبد : علم الاجتماع التطبيقي وتنمية المجتمع ، القاهرة ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر 1972 ، ص 234**

التطور كما أن التطور قد يختلف من مجتمع لآخر ، كما أن التطور قد يكون تقدما ارتقائيا ، وقد يكون تقهقرا وضعفاً . والتطور يختلف عن التغير من حيث أن التطور يتم تدريجيا وفق مراحل معينة دون تدخل أو تخطيط مقصود، بينما التغير قد يكون مثل التطور تلقائيا ، وقد يتم عن طريق التخطيط مما يخرج عن تلقائيته ويصبح مرسوما ومقصوداً .

ونظرا لصعوبة مفهوم التطور بمعناه عند رواد علم الاجتماع الأوائل فقد فضل العلماء استخدام مفهوم النمو الاجتماعى ، حيث نلاحظ أن هوبهوس " استخدم مصطلح التطور الاجتماعى . والنمو الاجتماعى كمصطلحين مترادفين فى معظم كتاباته ، كما نجد أن معظم مؤلفاته علم الاجتماع لم توضح الفرق بين النمو ، والتنمية . فالنمو كمصطلح يستخدم للإشارة إلى التغير بمعنى الظهور بالتدريج " أو التحول إلى زيادة عن طريق الإضافة ، وهذا ما نعنيه عندما نتكلم عن نمو الطفل أو نمو المدينة أو نمو المرض ، فالنمو هو تغير ارتقائى تقدمى عن طريق التطور التدريجى التلقائى ، أما إذا حدث تدخل للإسراع بعمليات النمو أصبح النمو تنمية .

وفى الحقيقة فان المفاهيم الخاصة بالتطور الاجتماعى والنمو الاجتماعى التى عرضها ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة التقدم ، وفى حالة " كونت " و " سبنسر " فالأمر واضح تماما ، أما فى حالة " هوبهوس " فقد افترض اختلافا بين التطور الاجتماعى والتقدم الاجتماعى ، وبالرغم من هذا فقد كان مفهوم التقدم مسيطرا على أعماله والتقدم بمفهومه الحالى هو تحول تدريجي نحو الأحسن ، أي أنه تغير يتجه إلى الأمام دوما . والتقدم مسالة نسبية ترتبط بالزمان والمكان ، ولهذا يصعب إخضاعها لمقياس موحد ، فقد تضع بعض المجتمعات فى ظروف مقياسا معنويا روحيا للتقدم ، وقد تضع فى ظروف أخرى مقياسا ماديا ، وما يعتبر تقدما فى مجتمع ما ، قد يكون تخلفا فى مجتمع

آخر ، فالتقدم بهذا المعنى لا وجود له إلا كحلم تقييمى أو ذاتى ، طبيعته كقيمة مميزة تعتمد على وجهة نظر الملاحظ له . وعموما فقد اهملت فكرة التقدم منذ نهاية القرن التاسع عشر ليس فقط فى علم الاجتماع بل أيضا فى النظرة العالمية للتفكير فى المجتمعات الغربية . وهذه ظاهرة تستحق فى ذاتها دراسة سوسيولوجية خاصة . وقد ظهرت بالفعل مجهودات مستمرة هدفها أن تخلق من علم الاجتماع علما متحررا من الأحكام القيمية ، كما حدث فى خلال نفس الفترة نمو الفكر الفلسفي الخاص بالنسبية الأخلاقية مما أسفر عنه الاعتقاد بان عالم الاجتماع يستطيع بل يجب أن يتجنب الأحكام القيمية .

كل هذه الصعوبات التى لا حصر لها فى نظريات التطور والنمو والتقدم أدت إلى ظهور مصطلح التغير الاجتماعى للإشارة إلى كل صور التباين التاريخي فى المجتمعات الإنسانية . ولقد ساعد على انتشار هذا المصطلح نشر كتاب التغير الاجتماعى " لاوجبرن " حيث ميز " أوجبرن " بين نوعين من الثقافة (ثقافة مادية وثقافة لا مادية) ، كما أدخل مصطلح التخلف الثقافى أو الهوة الثقافية يشير به إلى أن الأجزاء المختلفة للثقافة لا تتغير بنفس الدرجة، حيث أن بعض الأجزاء تتغير بسرعة اكثر من الأجزاء الأخرى ، ونظرا للترابط بين الأجزاء المكونة للثقافة ، فان التغير فى الناحية منها لابد وان يحدث نوعا من التكيفات والملاءمات فى النواحى الأخرى . ويضرب " أوجبرن " مثلا لتوضيح فكرته حيث يقول " الصناعة والتعليم مرتبطان ببعضهما ، والتغير فى الصناعة يؤدى بالضرورة إلى تكيفات من خلال التغيرات فى نظام التعليم والصناعة هنا متغير مستقل ، والتعليم متغير تابع ، ويتخلف فى أغلب الأحيان التغير الحادث فى المتغير التابع عن التغير فى المتغير المستقل ، ومن هنا تظهر المشاكل وسوء التوافق وذلك لعدم التساوي بين أجزاء الثقافة فى معدلات التغير ، وغالبا ما يكون الجزاء المادي من

الثقافة هو أسرع أجزاء الثقافة تغييرا ، ولابد أن يترتب عليه تغيرات فى الجزء اللامادى ، وإلا فان المجتمع سيحل به مظاهر التفكك الاجتماعى المختلفة .

وعلى أية حال فهناك طرق عديدة لوصف التغير الاجتماعى، فعلماء الاقتصاد والتاريخ والسياسة والاجتماع كل منهم يعرف التغير الاجتماعى فى إطار دائرة اهتمامه ومنظوره ، بل يلاحظ أن تعريف التغير بين علماء الاجتماع يختلف من عالم لآخر ومن باحث لآخر وذلك طبقا لموضوع الدراسة المعنية . ومن الضروري أن نضع فى إعتبارنا عندما نستخدم مصطلح التغير الاجتماعى التجربة الماضية للإنسان فى أبعادها الثقافية والاجتماعية من خلال مجتمع معين لأنها هى التى تجعله قادرا على خلق الثقافة ونقلها فى شكل اجتماعى من جيل إلى جيل ، ويعنى التغير بالنسبة لعلم الاجتماع ، ظهور اختلاف يمكن ملاحظته فى البناء الاجتماعى أو فى العادات المعروفة أو فى معدات وآلات لم تكن موجودة من قبل وذلك بالمقارنة بحالات أو أوضاع سابقة .

ولقد تعددت تعريفات التغير الاجتماعى ، حيث يمكن أن نلاحظ مدى التنوع فى صياغة هذا المفهوم كما يلي :

" يعرف الدكتور احمد رأفت التغير الاجتماعى بأنه " اصطلاح يدل على نوع من التغير أو التحول المستمر فى الحركة ، وقد يكون حركة التغير إلى الأمام أو إلى الخلف ، إلى أعلى أو إلى أسفل . ارتقاء وتقدما ، أو نكوصا وتخلفا ، ذلك أن المجتمعات قد تشهد ارتقاء فى جانب ، وتأخرا فى جانب آخر، وليس هناك تقدم أو تحسن مضطردا أو مطلق ، بل هناك تحول وتغير ،

وقد يكون هذا التغير تلقائياً وقد يكون مخططا ، بطيئا فى سرعته أو ثوريا جذرياً وسريعاً [1].

" ويرى الدكتور عبد الهادى الجوهرى أن التغير الاجتماعى هو تلك التحولات والتبدلات التى تحدث فى التنظيم الاجتماعى ، أي التى تحدث فى بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة [2] .

" ويرى الدكتور أحمد أبو زيد أن التغير " هو تلك الاختلافات التى تحدث فى أي شئ والتي يمكن ملاحظتها خلال فترة من الزمن، وأن التغير الاجتماعى يقصد به الاختلافات التى تطرأ على ظاهرة من الظواهر الاجتماعية والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها [3] .

" ويرى الدكتور كمال دسوقى " أن التغير الاجتماعى عموماً هو تغير فى العلاقات وأنماط السلوك والعادات والتقاليد والطرق المتبعة [4].

ويرى " ستيفن فيجو " أن التغير الاجتماعى هو " عملية التحولات أو التبدلات الكمية أو الكيفية ، المخططة أو غير المخططة، فى الظاهرة الاجتماعية ، والتي يمكن أن توصف فى مركب من ستة أجزاء متصلة من العناصر التحليلية ذات الاعتماد المتبادل فيما بينها ، وهذه العناصر هى وحدة التغير ، مستوى التغير، دوام أو استمرارية التغير إتجاه التغير ، مقدار التغير، معدل التغير " .

فالتغير الاجتماعى هو تغير فى بناء ووظائف العلاقات الاجتماعية فى المجتمع ، فكل شئ فى أي مجتمع يتغير فهناك تغيرات تكنولوجية وتغيرات

([1]) احمد رأفت عبد الجواد : (1983) ، مرجع سابق ص 126

([2]) عبد الهادى الجوهرى : مدخل لدراسة المجتمع ، القاهرة : نهضة الشرق ، 1984 ، ص 109

([3]) احمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ، المفهومان ، ط 4 ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، 1975 ، ص 255

([4]) كمال دسوقى : الاجتماع ودراسة المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1971 ، ص 625

ديموجرافية وتغيرات ليكولوجية وتغيرات فى النظم السياسية والاقتصادية ... الخ .

والتغير الاجتماعى هو عملية الصيرورة على وضع مختلف عن الموضوع السابق الذي كانت عليه الظاهرة خلال فترة معينة من الزمن والتي يمكن ملاحظتها وتقديرها ، وإن كانت بعض التغيرات غير ملاحظة وتتقبلها الناس على أنها أمور عادية . ويؤخذ التغير الاجتماعى فى العادة على انه التعديلات التى تحدث فى أنماط الحياة فى مجتمع معين وفى شعب من الشعوب [1]. ويمكن أن تتمثل هذا التعديلات على سبيل المثال فى ان اكتشاف البترول فى المملكة العربية السعودية أحدث آثاراً على جميع جنبات الحياة فيها وأصبحت المملكة تمثل ثقلاً اقتصادياً وسياسياً بالغ الأهمية لا بالنسبة للمنطقة وحدها وإنما فى العالم أجمع [2] . ويمكن أن تتمثل تلك التعديلات فى التغير فى أعداد الشباب الذين يدخلون الجامعات ، والتغير فى دور الزوجة ، والتغير فى معدل السكان ، فالتغير الاجتماعى يشير إلى التغيرات فى التنظيم الاجتماعى أو فى بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة ، ولهذا يكون التغير الاجتماعى جزءا من تغير أوسع واشمل هو التغير الثقافى ، لان الأول يتضمن تغيرا فى بناء المجتمع ووظائفه ، أما الثاني فيشمل كل أنواع التغير نظم المجتمع (بناء ووظيفة) كذلك التغيرات التى تحدث فى العلم ، الفلسفة ، الفنون، التكنولوجيا ... الخ . فموضوع التغير الثقافى أوسع من موضوع التغير الاجتماعى ، ولكن اهتمامنا فى علم الاجتماع يتركز حول الموضوع الضيق ، فلن يتطرق اهتمامنا إلى موضوعات معينة كتطور الأصوات فى اللغة ، أو تاريخ الصور الفنية ، أو تطور الأساليب الموسيقية ونمو النظرية

([1]) صلاح عبد المتعال : (1980) ، مرجع سابق ، ص 54

([2]) أحمد رأفت عبد الجواد : (1983) ، مرجع سابق ، ص 129

الرياضية . وطبيعي أننا يجب أن نفهم دائما فى نفس الوقت أن بعض التغيرات التى تحدث فى بعض فروع الثقافة لا تستطيع أن تلاحظ تأثيرها فى النسق الاجتماعى ، ولهذا نهتم من الناحية السوسيولوجية بالتغير الثقافى على المدى الذي ندرك فيه تأثيره على التنظيم الاجتماعى أي أننا لا نهتم به منفصلا عن التغير الاجتماعى [1] .

([1]) للمزيد من المعرفة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى المؤلفات الآتية :

- **أحمد رأفت عبد الجواد : (1983) ، مرجع سابق ، ص 21**
- **محمد عاطف غيث : علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 1988 ، ص 325**
- **محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1987 م ، ص ص 25 – 26 0**

ثانياً : أنواع التغير الاجتماعى :

1- تغير طبيعي تلقائي :

وهو ذلك التغير الذى يسير سيراً طبيعياً تلقائياً دون تدخل لأى قوى خارجية تؤثر فى سرعته ، ومن أمثلته ذلك التغير الذى يطرأ على الوحدة الاجتماعية من الأسرة إلى القسيرة إلى القبيلة إلى القرية إلى المدينة فالدولة.

2- التغير التقدمى الارتقائى المقصود :

وهو ذلك التغير الذى يحدث فى ميدان العلوم والمعارف والتكنولوجيا حيث التقدم إلى الإمام فكل اختراع يبدأ بسيطاً ثم يتحسن بالتدريج .

3- التغير الرجعى الإنتكاسى :

وهو ذلك التغير الذى يحدث فى اتجاه نكوصى حيث تسؤ الحالة وتتدهور ومن أمثلته التغيرات التى تحدث على اثر الحروب أو الأزمات السياسية أو الهزات الاقتصادية أو الكوارث الطبيعية حيث ينتج عن مثل هذه التغيرات انخفاض الدخل القومى وزيادة معدلات الوفيات وكثرة الهجرة من المجتمع وتأخر الإبداع الفنى والتكنولوجى.

4- التغير الجذرى الشامل :

وهو ذلك التغير الذى يتم على أثر ثورة شاملة تطيح بمعظم النظم القائمة وترسى بدلاً من نظماً مستحدثة تمثل أما تقدماً وتحسنا فى الأوضاع الاجتماعية (كثورة 1952 فى مصر) وأما تدهوراً وانتكاساً كأعتداء دولة العراق على الكويت وما ترتب عليه من احتلال أمريكا للعراق .

5- التغير الجزئى المحدود :

وهو ذلك التغير الذى يتناول مجالات معينة تتصل ببعض النواحى السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . فقد يحدث تغير فى ظاهرة التكافل

الاجتماعى فقد تسود وتزداد وتقل تبعاً لذلك أسباب الحد الاجتماعى فيسود المجتمع عواطف الخير والحب والمشاركة الوحدانية ، وقد تقل ولا يعبأ الأغنياء بالفقراء فيزاد الحسد وقد يحول إلى توتر وينذر بإندلاع ثورة داخلية طبقية وهكذا .

6- التغير الخطى :

أى تغير الذى تسير فيه المجتمعات فى إتجاه واحد دون عودة للمراحل التى اجتازتها حيث يرى كونت أن المجتمع يمر فى ضوء ثلاثة مراحل لاهوتى – مينافيزيقى - وصغيه ويرى سبنسر أن المجتمع يتطور من الشكل البسيط إلى الشكل المتباين .

7- التغير الدائرى :

أى أن المجتمعات تسير فى تغيرها فى إتجاه دائرى . وقد تدور العجلة مرة واحدة وقد تتعدد الدورات ، فالحياة تسير دورة وراء أخرى بلا بداية أو نهاية مثل الدورات المتكررة .

حيث يرى كل من أبن خلدون وشبنجلر على حده أن المجتمع يمر بنفس مراحل نمو الكائن الحى الطفولة – النضج – الشباب – الشيوخه والهرم والفناء ثم يعود إلى نفس المراحل السابقة من الطفولة إلى الفناء .

ويرى سوركون أن تغير المجتمعات وتحولها ونموها يتم فى ضوء الأنماط أو العقليات الثقافية : المرحلة الأولى هى العقلية الحسية ، المرحلة الثانية هى العقلية الروحية ، المرحلة الثالثة هى العقلية المثالية .

8- التغير التذبذبى :

هو ذلك التغير الذى يحل بالمجتمعات والذى يتسم بالتذبذب غير المنتظم حيث يتقدم المجتمع ثم ينتكس ثم يتقدم ثم ينتكس وهكذا ولكن بدون انتظام ويبدو هذا التغير واضحاً فى الظواهر الاقتصادية والهيكل السكانى فالرخاء الاقتصادى قد يعقبه كساد اقتصادى . والسكان قد يزدادون بسرعة شديدة ثم يتناقضون بشرعة أشد تحت تأثير المجاعات أو الأوبئة أو الهجرة أو الحروب ... الخ .

ثالثاً : عوائق التغير الاجتماعى :

ومن أهم العوائق التى تعارض التغير الاجتماعى ما يلى :-

1- العزلة التى يعيشها المجتمع :

ويقصد بالعزلة البعد عن مصادر الثقافة وتتخذ العزلة عدداً من المظاهر منها :

أ- العزلة الطبيعية أى تلك العزلة الناتجة عن الظروف البيئية أو التضاريس أو الموقع الجغرافى .

ب- العزلة الذاتية أى تلك العزلة التى يفرضها المجتمع على نفسه كما هو الحال فى بعض القبائل والعائلات بمحافظات جنوب الصعيد.

جـ- العزلة المفروضة أى تلك العزلة التى تفرض على دولة ما من قبل دولة استعمارية أخرى أو من قبل المجتمع الدولى .

2- عدم التجانس فى تركيب المجتمع :

قد يجرى المجتمع فى بعض الأحيان جماعات متباينة عنصرياً ودينياً ومهنياً ... الخ . وينكس هذا التباين على مدى فى التغير فهناك من يؤيد التغير وهناك من يعارضه وقد تكون الجماعات المعارضة ذات نفوذ أكبر ، الأمر الذى يؤدى إلى حرمان المجتمع من التغيرات الاجتماعية الإيجابية .

3- ركود حركة الاختراع :

أن ظاهرة ركود حركة الاختراع توجد فى المجتمعات تحت تأثير ما يلى :

* شعور أفراد المجتمع بعدم حاجتهم على التغير نتيجة لتخلف المجتمع فى مستواه الثقافى والاجتماعى .
* عدم توفر المواد الخام اللازمة للاختراع .
* عدم توفر الإمكانيات المادية والنفقات اللازمة للبحث العلمى .

* عدم تشجيع المخترعين على نشر اختراعاتهم وعدم مكافآتهم على مثل هذه الاختراعات .

4- الخوف من التغير الجديد والرغبة فى التمسك بالقديم :

كثيراً ما يتعرض أى محاولة لتحسين وإصلاح المجتمع سواء باختراع جديد أو بناء مدرسة أو وحدة صحية أو محاولة تعديل الأفكار الخاطئة عن بعض الظواهر الاجتماعية السلبية كالأخذ بالثأر أو زيادة الاضرحة أو حتى زيادة القديس أو حتى السعى نحو تعليم الفتاة – تتعرض مثل هذه المحاولات للمقاومة خاصة من كبار السن والمنتفعين فى بقاء الحال كما هو علية .

رابعاً : عوامل التغير الاجتماعى :

أكدت الدراسات العلمية أن الكشف عن عامل محدد أو سبب معين للتغير الاجتماعى ضرب من المجال والتعنت ذلك لأن التغير الاجتماعى عملية معقدة تتضمن تداخلاً متبادلاً بين عوامل مختلفة ذات صلة به . فالتغير الذى يحدث فى ظاهرة معينة لأبد وأن يؤثر فيما عداها من الظواهر نظراً لترابط نظم المجتمع وتداخلها فهى متكاملة بنائياً ووظيفياً ويؤثر كل منها فى الأخرى ، فالعوامل التى تؤدى أو قد تؤدى إلى حدوث التغير فى الحياة الاجتماعية كثيرة ومتعددة كأثر البيئة الجغرافية والأفكار والأيديولوجيات السياسية أو الاقتصادية أو الدينية على الجوانب العديدة للحياة الاجتماعية ومنها العادات والقيم والتقاليد والمعايير . وعلى الرغم من تعقد عملية التعرف على عوامل التغير الاجتماعى التى تؤثر على مجرى الحياة الريفية إلا أن المر يتطلب الإشارة إلى أهم هذه العوامل ومنها ما يلى:

1. البيئة الجغرافية :

يهتم علماء الجغرافيا بدراسة العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته الجغرافية وما تنطوى عليه هذه البيئة من تأثير تمارسه على المجتمع الإنسانى، وما يقوم به الإنسان من توافق معها وضبط لها. ويطلق علماء الجغرافيا على الجغرافيا البشرية الأيكولوجيا البشرية.

وكلمة أيكولوجى مشتقة من الأصل الأغريقى Ekos ومعناها بيت أو مسكن أما كلمة Logy فتعنى علم ، والمعنى العام لكلمة العلم الذى يدرسى النشاط البشرى للأفراد فى مكان معين لمعرفة مدى التفاعل بين الإنسان والمكان . ولقد ظهر المصطلح لأول مرة على يد أرنست هايكل عالم الأحياء الألمانى فى عام 1869 .

ومن أهم مظاهر البيئة الجغرافية التى يمكن أن يكون لها اثر على مجرى التغير الاجتماعى الموقع ، المناخ ، التضاريس ، الأمطار ، الفيضانات ، الأعاصير ، الزلازل ، البراكين ، المناجم ، حقول البترول .

فالموقع الجغرافى قد يكون عاملاً من عوامل تغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى مجتمع من المجتمعات ، فمصر بسبب موقعها الجغرافى تعرضت على مدار التاريخ لغزوات عسكرية .

وهناك تغيرات طبيعية تتم بفعل الإنسان وإرادته منها مثلاً محاولة الإنسان المصرى فى اختراق الصحراء لإقامة مجتمعات جديدة بعد أن ضاق الوادى بسكانه كما فى مشروع توشكى وقيامه بشق قناة تصل بين بحرين لتسهيل عملية المواصلات بين غرب العالم وشرقه . وقيامه أيضاً بناء السد العالى للتحكم فى مياه الأنهار والفيضانات واستغلالها فى أغراض الرى وتوليد الكهرباء ، كل ذلك يؤدى إلى تغير فى طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة . كما أن اكتشاف أى مورد من موارد الثروة الطبيعية المدفونة فى باطن الأرض كالبترول أو الذهب أو النحاس أو الفحم يؤدى بالضرورة إلى تغير فى أنواع النشاط الاقتصادى وهناك عدد كبير من العلماء والباحثين الذين تناولوا أثر البيئة الجغرافية على الحياة الاجتماعية والثقافية نذكر منهم ما يلى :
إبن خلدون وضح مدى أثر البيئة الجغرافية فى اختلاف المقومات الأساسية للمجتمع الإنسانى ، الحيوان ، الأرض ، وأن تغير البيئة الجغرافية يؤدى إلى تغير فى العادات والتقاليد .

ويرى عالم الجغرافيا الأمريكى هنتنجتون أن الظروف الجغرافية هى التى تحدد صفات الناس وسلوكهم ، وأن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية ، وفى ضوء هذه الرؤية أو الفرضية فسر هنتنجتون ظهور الحضارات وسقوطها ، فقد إزدهرت حضارة وأدى النيل

نظـراً لتـوافر ظـروف جغرافيـة خاصـة بملائمـة الطقـس والتربـة ونوعيـة المحاصـيل ، وانقرضـت هذه الحضـارات بفعـل تغيـرات جغرافيـة تمثلـت فـى ارتفاع درجة الحرارة وادى النيل وما ترتب عليها من جفاف للتربة ، الأمر الذى أدى إلى خلق ظروف أدت إلى تدهور الحضارة . وفى الوقت الذى كانت فيـه الظـروف الجغرافيـة تـؤدى إلـى تـدهور حضـارة وادى النيـل كانـت هنـاك ظروف جغرافية تهيئ لنشأة حضارة فى مكان آخر.

ويـرى مونتسـكيو فـى كتابـة " روح القـوانين " أن للبيئـة الجغرافيـة أثـراً واضـحا علـى اخـتلاف الأمـم فـى قوانينهـا وأخلاقهـا وسياسـتها واقتصـادها وعلومها ، كما يرى أن السلوك الإجرامى يميل إلى الانتشـار بـالقرب من خط الاستواء ن وأن حالات السكر تنتشر بالقرب من المناطق القطبية .

ويـرى العـالم البلجيكـى " أدولـف كتيليـه " أن للعوامـل المناخيـة أثـراً علـى توزيعات السلوك الإجرامى فجرائم الملكية أكثر انتشاراً فى المناطق الباردة والجرائم ضد الأشخاص أكثر انتشاراً فى المناطق الحارة وأعتبر كتيليه أن ذلك قانونا عاماً وشاملاً حيث وصفه بالقانون الحرارى للجريمة .

ويرى البعض أن البيئة الجغرافية لها دور فى تحديد شكل ونوع نشاط الإنسان كالصيد والرعى والزراعة والصناعة ، بل إن البعض يرى أن حالة المناخ السائدة تؤثر فى سلوك الإنسان حيث يتصف سكان المناطق الاستوائية بالكسـال والخمـول والتفكيـر البطـئ وانتشـار الأمـراض الوبائيـة كالطـاعون والحمى الصفراء وهذا يؤدى إلى ضعف الأفراد وبصورة عامة فإن ذلك يؤدى بالتالى إلى انخفاض إنتاجيه الفرد ، وهنا تظهر حلقة الفقر الخبيثة ، وبالتـالى تخلف الدول الواقعة فى المنطقة الاستوائية .

وهنـاك بعض النظريـات التـى ترجـع التغير الاجتمـاعى إلـى الاخـتلالات الكونيـة المختلفـة . مثـال ذلـك " النظريـة التـى تقـول بـأن إزديـاد نشـاط البقـع

الشمسية – وهى بقع داكنة تبدو بين فترة وأخرى على سطح الشمس – فى بعض الفترات يؤدى إلى إزدياد نشاط البشر ، ويدفعهم إلى الاكتشاف والابتكار . وهناك الفكرة القديمة القائلة بأن حركات النجوم والشمس تؤثر فى مصير البشر . ومع ذلك فأننا كباحثين فى علم الاجتماع نرفض فكرة أن البقع الشمسية تؤثر على بعض الظواهر الاجتماعية كالحرب فإذا كان هناك تأثير لتلك البقع فإن ذلك قد يكون قاصراً على الإرسال اللاسلكى مثلاً .

وإذا ما تأملنا قضية صراعنا مع العدو الاسرائيلى فإنه يمكن ملاحظة شعار إسرائيل وهو الحدود الآمنة مع الجيران العرب " يمكن هنا أن نلاحظ مدى تأثير البيئة الجغرافية على النواحى السياسية .

وإذا كنا لا ننكر أثر البيئة الجغرافية فى نشأة الحياة الاجتماعية وتغيرها ، إلا أننا لا يمكن فى نفس الوقت أن ترجع كل عمليات التغير الاجتماعى إليها . حقاً أن الموقع الجغرافى واكتشاف آثار جديدة قد يجعل من المجتمع مجالاً للسياحة ، وأن اكتشاف ثروة طبيعية فى باطن الأرض قد يزيد من متوسط دخل الفرد ويدفع المجتمع إلى التنمية ، إلا أننا من غير المعقول أن نؤمن بأن المناخ والبق الشمسية يحددان سلوك الفرد ويؤثران على تشكيل المجتمع – فالبيئة الجغرافية لا يمكن أن تؤدى وحدها إلى التغير الاجتماعى وذلك للأسباب الآتية :

(1) أن العوامل الجغرافية تتجاهل إمكانية الفرد فى تسخير البيئة والسيطرة عليها . فالعوامل الجغرافية وحدها لا يمكن أن تؤدى إلى التغير الاجتماعى ما لم يحاول أفراد المجتمع أنفسهم كيفية استغلال هذه العوامل وإخضاعها لمصلحتهم ، وهذا لن يحدث إلا إذا كان لدى الأفراد القدرة على المعرفة والعلم، فاكتشاف حقل من البترول لا يعد مؤشراً على تغير المجتمع إلا من الناحية البنائية ، ففى حالة عدم وجود فنيين مدربين وعمال متعلمين لا قيمة

لهذا التغير ، أما فى حالة تواجد ذلك فهنا يتكامل عنصرى التغير البنائى والتغير الوظيفى ، أى ما يخلقه وجود بترول من ظهور وظائف جديدة لم بألفها المجتمع من قبل مثل انتشار المصانع وزيادة العمالة وارتفاع مستوى المعيشة .

(2) أن الحياة الاجتماعية تتطور بسرعة ، بينما يتطور الوسط الجغرافى ببطء شديد ، فإذا كانت العوامل الجغرافية هى السبب فى التغير الاجتماعى لتلازم الاثنان فى تغيرهما معاً ويمكن أن تطلق على ذلك فجوة التغير بين الحياة الاجتماعية والوسط الجغرافى .

(3) أن البيئة الجغرافية التى تعيش فيها بعض الشعوب قد تكون متماثلة إلا أنها تختلف اختلافاً كبيراً فى ثقافتها ومختلف أساليب حياتها .

(4) أن البيئة الجغرافية قد تنتج ثقافتين مختلفتين فى فترتين متتاليتين دون أن تتغير البيئة الجغرافية فى تلك المنطقة .

2. العوامل البيولوجية :

ويقصد بالعوامل البيولوجية توزيع السكان بحسب النوع والسلالة والذكاء أو بمعنى شامل التفاوت الورائى ، فعلى الرغم من أن التوزيع الطبيعى العادل لسكان أى مجتمع بحسب النوع يكون عادة فى شكل متكافئ بمعنى أن يكون نصف المجتمع من الذكور والنصف الآخر من الإناث إلا أن هناك مجتمعات يتفاوت فيها هذا التوزيع حيث يزيد معدل الذكور عن الإناث أو العكس فى حدود ضيقة تماماً إلا أن علماء البيولوجيا يعطون لهذا التفاوت تأثيراً كبير فى التغير الاجتماعى بالمجتمع يوجه عام وفى الطابع الاقتصادى والسياسى بل ولون العلاقات الإنسانية فى مثل هذه المجتمعات على وجه خاص .

ويركز أصحاب هذه النظرية على فرضية مؤداها أن الناس فى العالم ينقسمون إلى أجناس وجماعات متمايزة بيولوجيا وأن هناك طبقات تتفوق على

طبقات أخرى وأن هذا التفوق يرتبط بالخصائص البيولوجية فهناك من ولد ليكون حاكماً وهناك من ولد ليكون محكوماً ، ومن هنا نشأت فترة تدرج الأجناس التى تلقفتها النازية وحاولت أن تقيم نظرية " الجنس السيد " الذى يتصف بمواهب ورائية عالية تستطيع أن تغير وجه التاريخ . وعلى أية حال فإن هذه الأفكار ليست لها سند علمى ، وإنما هى أفكار استعمارية لخدمة مصالح مجتمعهم والسيطرة على الجناس التى يعتبرونها أجناساً ملونة فلون البشرة أو ضيق العينين أو بروز الفكين لا يمكن اعتبارها مسئوله عن التغير الاجتماعى .

3. العوامل الديموجرافية :

ويقصد بها تلك العوامل المتعلقة بالسكان من حيث الحجم وما يطرأ عليه من تغير وأسلوب حدوث هذا التغير سواء عن طريق زيادة معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة ، كذلك من حيث تقسيم السكان على جماعات فرعية عن طريق الجنس والعمل والمركز الزواجى وكذلك من حيث الحركات السكانية بعيدة المدى .

ويؤدى التغير فى التركيب السكاني للمجتمع ، فى بعض الأحيان إلى بعض التغيرات الاجتماعية والثقافية وذلك فى حالة زيادة أو نقصان عدد الأفراد المكونين لجماعة من الجماعات نتيجة زيادة المواليد أو نقصها أو نتيجة للهجرات الداخلية والخارجية فإنه من المتوقع أن تتغير تبعاً لذلك نسب الشيوخ والشباب وهذا من شانه أن يغير من حالة الجماعة المادية والفعلية والاجتماعية [1] . كما يترتب على هجرة السكان من الريف إلى الحضر حدوث ما يطلق عليه بالصدمه الثقافية تلك الصدمة التى تجعل المهاجر قلقاً حائراً مبلبل الفكر مما يؤثر فى عمله وإنتاجه بقدر كبير . وكذلك ما تؤدى إليه

([1]) عادل مختار الهوارى : قضايا التغير والتنمية الاجتماعية ، ص 16

هذه الهجرة من عمليات التغير أو الثبات فى القيم والعادات والتقاليد ، وقد ينتج عن ذلك تفكك فى العلاقات الاجتماعية ، وظهور بعض المشكلات المتعلقة بالإسكان والصحة والجريمة وغيرها وذلك فى المناطق الحضرية .

ولقد تناول بعض العلماء العامل الديموجرافى ودوره فى عملية التغير الاجتماعى الاقتصادى . حيث يرى " وليم بيتى 1623 – 1687 " الاقتصادى الإنجليزي أن يعمل والعمال هم أساس كل الثروات وبالتالي فإن نمو وحجم هؤلاء العاملين أو العمال هو الذي يحدد نمو وحجم الثروات ، وهكذا ، فإن الأمة الأكثر سكانا هي الأمة الأكثر غنى . وتعد هذه النظرية بمثابة نوعاً من الحتمية الجغرافية إلا أنه بالقياس على مرحلته التاريخية تعد وجهة نظر تقدمية لأنها ركزت على دور وأهمية العملية الاقتصادية للجماهير الشعبية المنتجة ضد مضطهديها من الإقطاعيين الذين يأكلون دون أن يعملوا ، وهناك عدد من المفكرين تلقف هذه الفكرة ليعطى للعامل الديموجرافى دوراً مسيطراً باتجاه الأمام أو الخلف . فلقد قام عالم الاقتصاد الإنجليزي توماس روبرت مالتس 766 – 1834 الذي يعتبر بحق أول من وضح للرأي العام خطورة المشكلة السكانية التى تعد فى وقتنا الحاضر من أهم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى تواجه جميع الدول النامية فى قارتي آسيا وأفريقيا إلى تخطيط شامل للعلاج من خلال برامج استصلاح الأراضي وتحسين ري المحاصيل والميكنة الزراعية [1].

فلقد تصور مالتس أن نمو السكان إنما يتم على شكل متواليات هندسية (1 ، 2 ، 4 ، 8 ، 16 ، 32 ، 64 ، 128) إلا أن الزيادة فى مواد الغذاء تتم فى شكل متواليات عديدة أو حسابية (1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8)

([1]) صلاح العبد : علم الاجتماع السكاني ، ص 194

فمثلا إذا افترضنا جدلا أن عدد سكان شعب معين يقدر بمليون نسمه فإنه بعد خمسة وعشرون سنة يصل عدد السكان على 2 مليون نسمة أي أن عدد السكان من وجهة نظر مالتس يتضاعف كل 25 سنة . وطبقا لذلك فإنه بعد 25 سنه أخرى يصل عدد السكان على 4 مليون وبعد 25 سنه ثالثه يصل عدد السكان على 8 مليون نسمه وهكذا . أما بالنسبة لإنتاج المواد الغذائية فإن الزيادة تتم على أساس عددي أو حسابي فمثلا إذا بدأنا بإنتاج حجمة 1 فإنه بعد 25 سنة أيضا يصبح الحجم بعد الزيادة 2 وبعد 25 سنه ثالثه بعد الزيادة 3 وهكذا .

ومعنى ذلك انه بعد 7 أجيال ستكون نسبة الغذاء على عدد السكان هى (8 : 128) وهى نسبة رهيبة تنطوى على شقاء السكان حيث الجوع والمرض والجريمة والحرب وغيرها ، وإن كان مالتس يرى أن مثل هذه الأمور تؤدى دوراً إيجابيا فى الحد من الزيادة السكانية ، كما طالب مالتس بضرورة ان يلتزم السكان بالعفة والمبادىء الفاضله وعدم تشجيع الزواج المبكر . وعارض مالتس بشدة تقديم الإحسان للفقراء كحا للمشكلة فأى مساعدة تقدم للفقراء سوف تزيد من عددهم وتقتل إحساسهم بالمسئولية وتجعلهم يعتمدون على المجتمع فى تربية أولادهم .

وعلى أية حال يمكن القول أن وجهة نظر مالتس تعد تشاؤمية فضلاً عما تحمله من مغالطات فالإنسان كان يسعى دائما لتطوير بيئته التكنولوجية والتنظيمية وذلك لكي يتمكن من إنتاج غذاؤه بصورة لا تقل عن الزيادة فى نمو السكان . كما أن جهود التنمية الاجتماعية فى المجتمعات أدت إلى انخفاض معدلات المواليد والخصوبة تحت تأثير ارتفاع مكانة المرأة فى المجتمع والتوسع فى تعليمها وإتاحة الفرصة أمامها للعمل ومشاركتها للرجل

فى القضايا العامة ، بالإضافة إلى التوسع فى استخدام موانع الحمل . كل هذه الأمور تؤكد عدم صحة توقعات مالتس بالزيادة الرهيبة فى السكان [1].

وعلى الرغم من أن هذه النظرة تشاؤميه ، إلا أنها تكاد تنطبق على ظروف الدولة النامية فى شقيها ، وهى لا تنطبق تماما على الدول المتقدمة فى شقيها أيضا .

الشق الأول الخاص بالتنامي السكاني تؤكد البيانات عام 1986 أن سكان العالم يتضاعف كل 41 عاما ، وان سكان الدول النامية يتضاعف كل 34 عاما فى حين أن سكان الدول المتقدمة يتضاعف كل 111 عاما ، فمثلا سكان كينيا يتضاعفون كل 18 عاما وسكان الكويت يتضاعفون كل 20 عاما وسكان البحرين والجزائر والعراق وفلسطين وليبريا ونيكارجوا يتضاعفون كل 21 عاما وسكان تنزانيا وزامبيا والسودان وغانا ومالاوى والمكسيك ونيجريا يتضاعفون كل 22 عاما وسكان الإمارات وأوغندا وإيران والسعودية وعمان والمغرب يتضاعفون كل 23 عاما وسكان مصر يتضاعفون كل 26 عاما .

أما سكان الدول المتقدمة فانهم يتضاعفون فى مدد خياليه حيث نجد أن سكان بلجيكا يتضاعف كل 990 عاما وسكان إنجلترا كل 1155 عاما وسكان السويد كل 1386 عاما .

على أية حال فغن للعوامل الديموجرافية دوراً فى عملية التغير الاجتماعى فحجم سكان أي مجتمع يحدد طبيعة علاقته بالمجتمعات الأخرى كدول الخليج وليبيا وأمريكا واستراليا ، كما أن حجم السكان يحدد شكل العلاقات الاجتماعية ففي المجتمع قليل الحجم تكون العلاقات أولية شخصيه أما فى المجتمع الكبير الحجم تكون العلاقات ثانوية ورسمية . كما أن النمو

([1]) على عبد الرازق جلبى : علم اجتماع السكان ، ص ص 84 – 85

المزايد أو البطيء للسكان له دور سلبي ، فالنمو المتزايد للسكان بصورة تفوق الزيادة الإنتاجية كما هو حادث فى الدول النامية سيؤدى حتما على إنخفاض مستوى المعيشة وعدم قدرة المجتمع على مواجهة احتياجات أعضائه تعليمية ، صحية ، سكنية .. الخ . وكذلك النمو البطيء للسكان وتناقص أعدادهم يؤدى على خطر الانقراض .

كما أن نوع السكان من ذكور وإناث وقدرات كل نوع تحدد المكانة الاجتماعية الاقتصادية لكل من الرجل والمرأة ، هذا ويمكن القول أن للتعليم دوراً رئيسياً فى انخفاض معدل المواليد فقلد أثبتت عديد من الدراسات أن نسبة المواليد تنخفض بارتفاع المستوى التعليمي للزوجين ، كما تختلف مشاكل أي مجتمع طبقاً لنسبة الأمية فى هذا المجتمع واختلاف المستويات التعليمية عامة. (1)

4. العوامل الاقتصادية والتعليمية :

يعتبر العامل الاقتصادى من أهم العوامل البارزة فى التغير الاجتماعى. فالنظرية الماركسية ترى أن العامل الاقتصادى هو العامل المحدد والنهائي للتغير الاجتماعى باعتباره بناءا تحتيا ، وأن هذا البناء التحتي لا يحدد فقط البناء الفوقي الكلى ولكن يشكله أيضا، أي أنه يشكل التنظيم السياسي والقانوني والدين والفلسفة والأدب والأخلاق ذاتها . وترى النظرية الماركسية أن التنظيم الاجتماعى فى المجتمع الرأسمالي يتجلى فى وجود طبقتين الأولى هي الطبقة البورجوازية الحاكمة . أما الطبقة الثانية فهي طبقة البروليتاريا العمالية المحكومة .

---

(1) حسن الساعاتي وعبد الحميد لطفى 0

الأولى تملك كل شئ ، والثانية لا تملك أي شئ، والصراع بينهما أمراً حتمياً ونتيجة هذا الصراع هو تدمير للمجتمع الرأسمالي ليحل محله النظام الاشتراكي .

ومع إيماننا بأهمية العامل الاقتصادى كأحد عوامل التغير الاجتماعى إلا أننا لا نتفق مع وجهة النظر الماركسية ، فوجهة نظرنا هي أن العامل الاقتصادى لا يشكل إلا جانبا واحداً من جوانب البناء الاجتماعى حيث إن نظم المجتمع (إقتصادية ، تكنولوجية ، تربوية ، أيديولوجية .. الخ) مترابطة ومتداخلة بنائنا ووظيفيا ويؤثر كل منها فى الأخرى ، فإذا كان للنظام الاقتصادى اثر على بقية النظم الاجتماعية ، فإن البناء الاجتماعى ككل يشكل النظام الاقتصادى ويحدد مجراه .

وبالنسبة للنظام الاقتصادى فى الدول النامية والمتخلفة فكلما كان النظام الاقتصادى متحرراً ساعد ذلك على سرعة التغيرات البنائية الوظيفية ، أما إذا كان النظام الاقتصادى مقيداً أو تابعاً فإنه يؤدى على ضعف سرعة هذه التغيرات أما بالنسبة لقضية تناول التعليم كأحد عوامل التغير الاجتماعى فإنني يمكن أن أتناولها من عدة زوايا :-

الزاوية الأولى : الناحية الاقتصادية :

فاستثمار راس المال فى عقل الإنسان هو اضمن استثمار طويل الأجل فى الخبرة ، وفى الخلق ، وفى الوعي الاجتماعى ، وفى كافة مقومات المدنية، فالتعليم وسيلة لتوفير اليد العاملة المدربة، كما أن الإنسان بالعلم والمعرفة والقدرة على العمل والإنتاج، والقدرة على الخلق والابتكار والإبداع يستطيع أن يسخر قوى الطبيعة لصالحه ولرفع مستوى المعيشة ولتوفير حياة كريمة له. فالتعليم ليس مجرد نفقة استهلاكية بل إننا نجد عائدات من وراء التعليم . فالتعليم يعطينا الفرصة للتكيف مه هذا المجتمع المتغير من خلال توفيره

للمهارات الثلاثة الأساسية وهى القراءة والكتابة والحساب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخري يوفر لنا مهارات نوعية تلك التى يمكن أن تجدها فى الأطباء والمهندسين والمحاسبين والقضاء والعلماء ... الخ .

الزاوية الثانية : الناحية السياسية :

يستخدم التعليم كوسيلة للتزويد بالقادة . كما أننا نجد فى المجتمعات التى لم تحصل على استقلالها السياسي كفلسطين مثلاً يستخدم التعليم كأداة من أدوات النضال الوطني والسعى على حصول أهل البلاد أنفسهم على إدارة شئون بلادهم حيث حصلت مدينة غزة على استقلالها فى سبتمبر 2..5 .

الزاوية الثالثة : الناحية الاجتماعية :

يعتبر التعليم وسيلة للتقدم الاجتماعى ، كما أنه يساعد على تقليل التفاوت الاجتماعى والسياسى . والتعليم فى الدول النامية أدى إلى تغير هذه المجتمعات لكى تساير ركب الحضارة الحالية من خلال اكتشاف وتنمية مواهب الأفراد . والتعليم يساعد الفرد على التكيف فى حياته ، والتغلب على المشكلات التى تواجهه . كما يعد التعليم بمثابة سوق للزواج المفيد حيث يستطيع الشباب القادرين على الزواج أن يختاروا زوجاتهم من بين أندادهم فى التعليم . ولقد أدرك الفلاح المصرى فى العقود الأخيرة أهمية التعليم ولذا فهو يسعى جاهداً دون إكراه كما كان من قبل إلى ضرورة تعليم أبناءه .

5.العوامل التكنولوجية :

للتكنولوجيا دوراً كبيراً فى الحياة الاجتماعية كما أن لها تأثيراً فى تغيير المجتمع من حيث استخدام المجتمع لها . ويقصد بالعوامل التكنولوجية كل ما يبتكره الإنسان بهدف إشباع حاجاته المختلفة أو المتعددة .

فالتكنولوجيا تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة كاستخدام الطاقة الذرية ورحلات الإنسان إلى القمر وازدياد الترابط بين دول العالم من خلال وسائل الاتصال .

وترجع النظرية الماركسية التغير الاجتماعى إلى التطور التكنولوجى أى تطور قوى الإنتاج (القوى البشرية أو المادية) ، ويرى ماركس أن نقطة البدء فى التغير الاجتماعى تبدأ من تطور قوى الإنتاج ، هذا التطور يؤدى إلى خلل فى التوازن بين قوى الإنتاج المتطورة وعلاقات الإنتاج المختلفة " وهى تلك العلاقات التى يفرضها العمل بين القائمين به " والتى أصبحت عقبة أمام قوى الإنتاج . وهذا التناقض يعتبره ماركس القوة المحركة للتاريخ .

كما نجد وليم أوجبرن يرى فى نظريته الشهيرة " التخلف الثقافى " أن العامل التكنولوجى له دور فى التغير الاجتماعى حيث يميز أوجبرن بين ثلاثة أنواع من الثقافة ثقافة مادية ، وثقافة لا مادية ، وثقافة تكيفية .

وتشتمل الثقافة المادية على المصانع والمنازل والآلات والمواد الخام والسلع والمواد الغذائية وغير ذلك من الأشياء المادية . وتشتمل الثقافة غير المادية على أساليب استخدام الأشياء المادية إبتداء من كيفية استخدام أى أداه حتى الأعراف والعادات الجمعية والمعتقدات والفلسفات والقوانين والحكومات. أما الثقافة التكيفية فهى ذلك الجزء من الثقافة غير المادية التى تتكيف للظروف المادية .

ولكن عناصر الثقافة الحديثة لا تتغير بنفس الدرجة أو السرعة .

حيث أن بعض أجزاء الثقافة تتغير بسرعة أكثر من الجزاء الأخرى ونظراً للترابط المحكم بين أجزاء الثقافة فإن أى تغير فى أى جزء منها لابد وأن يحدث نوعاً من التكيفات فى الأخرى ، وإلا فإن ذلك يؤدى إلى وجود هوة ثقافية تجعل المجتمع فى حالة من اللاتوافق . وكقاعدة عامة يتخلف عادة

التغير فى الثقافة اللامادية عن التغير فى الثقافة المادية . ومن الأمثلة التى يشير إليها اوجبرن أن اختراع الأدوات المنزلية الحديثة التى توفر جهود المرأة شجعها على الخروج من المنزل ، والتحرر ، والمطالبة تدريجياً بحقوقها ، وأن اختراع المصعد الكهربائى قد مكن من إقامة المبانى الشاهقة الارتفاع ، والتى لا تصلح لتربية الأطفال وبالتالى إلى انخفاض معدل المواليد فى المدن .

ويقول اوجبرن أن المجتمع لا يتقبل بسهولة الاختراعات حتى وإن كانت مفيدة وذلك بسبب الاختلالات الاجتماعية الناتجة عن هذه الاختراعات وإلى العادات السائدة ، وإلى تحفظ كبار السن ، وإلى الخوف من الجديد والتمسك بالماضى والقديم . وهذا معناه أن الاختراع وحده لا يكفى لإحداث التغير بل يجب أن يصاحبه تقبل اجتماعى ولا يتم هذا التقبل إلا بعد فترة من الزمن يسميها اوجبرن الهوة الثقافية .

ويتعرض العالم منذ الثورة الصناعية وحتى الآن لتغيرات فى شتى مناحى الحياة وبصورة لم يسبق لها مثيل ، حيث الاختراعات التكنولوجية التى لم يقف تأثيرها عند نوع الآلة المستخدمة أو نوع الإنتاج وكميته ، وإنما كان لها رد فعل عنيف فى أشكال العلاقات الإنسانية والاجتماعية حيث أدت الاختراعات التكنولوجية إلى التغير فى شكل الأسرة من الممتدة إلى النووية ، كما أنها غيرت من الوظيفة التقليدية للمرأة ، وكذلك أحدثت تغيرات فى التنظيم الطبقى وفى توزيع السكان وفى وسائل الاتصال والمواصلات وفى الاقتصاد والسياسة والحروب والعلاقات الدولية بل غيرت مجرى التاريخ .

وعلى أيه حال فإنه مهما كان حجم التقدم التكنولوجى ، فإنه لكى يؤدى دورة بفاعلية ، فإنه لأبد أن يحتاج إلى أيدى عاملة متعلمة ومدربة جيدا ، حتى تستطيع استيعاب الوسائل التكنولوجية بل وتطورها . فالآلة مهما كانت درجة

تقدمها – طبقاً لوجهة النظر الماركسية – فإن لا قيمة لها إن لم تجد الإنسان المدرب والمتعلم القادر على إستيعابها وتحويلها من مجرد هيكل بنائى إلى قيم وظيفية متجددة ن ويبدو أن ماركس كان يريد أن يلهب حماس طبقة البروليتاريا نحو ضرورة وضع حد للتناقض بين قوى الإنتاج المتطورة وعلاقات الإنتاج المتخلفة وقد نجح فى ذلك حيث نجاح ثورة روسيا عام 1917 وماتت هذه الثورة عام 199. بعد أن استمرت حوالى 73 عاماً .

ويمكن بعد هذا العرض أن نميز بين ثلاث مجتمعات لمعرفة اثر التكنولوجيا :

1- مجتمع يعتمد على قوة عضلات أفراده . وهو مجتمع متخلف معزول استهلاكى .
2- مجتمع يعتمد على طاقة الحيوانات . هذا المجتمع قادر على تطوير أساليبه الزراعية وبه فائض إنتاجى . ولدى أفراده تضامن اجتماعى .
3- مجتمع يعتمد على التكنولوجيا ، حيث آلات رفع المياه والبخار والكهرباء والنشاط النووى . هذا المجتمع متقدم ، وهو قادر على تنفيذ المهام المعقدة وإشباع حاجات ملايين من السكان .

وهناك تقسيم للأمم المتحدة لتصنيف دول العالم إلى متقدمة ونامية ومتخلفة على أساس المستوى التعليمى الذى يتمثل فى نسبة المعلمين فى المرحلة الأولى والثانية ، ونسبة المهندسين والعمال لكل 1..... من السكان ونسبة الأطباء وأطباء الأسنان لكل 1..... من السكان . ونسبة القيد فى مراحل التعليم المختلفة وكذلك المقيدين فى الجامعات والتعليم العالى ، ونسبة الإنفاق على التعليم للدخل القومى . " كل هذه المقاييس توضح الحد الفاصل بين التقدم والتخلف ، هذا بافتراض أن الدول المتقدمة متقدمة أيضاً فى تكنولوجيا.

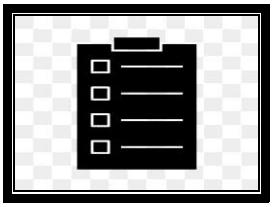

أعرض من وجهة نظرك لأهم مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع المصري؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الفصل السادس

المشكلات الاجتماعية
فى الريف والحضر

- مقدمة.
- أولاً : مشكلات المجتمع الريفي .
- ثانياً : مشكلات المجتمع الحضري .

مقدمـــــــة :

تعتبر المجتمعات الريفية فى مصر هى تلك التجمعات السكنية التى ليست عاصمة لمحافظة أو مقراً لمركز من المركز الإدارية ولقد عانى الريف المصرى على مدار تاريخه الطويل من ألوان متعددة لمظاهر الاستغلال والظلم الاجتماعى التى مارسها ضده حكام البلاد وأعوانهم والحكام الإقطاعيين سواء من الأجانب أو المصريين ، كما ساهم الاستعمار البريطانى بنصيب كبير فى استغلال الريف نظراً لحاجة المستعمر إلى الموارد الأولية وخاصة زراعة القطن لتشغيل المصانع الإنجليزية [1] .

ومن أوجه الاستغلال الذى تعرض له الفلاحون على أيدى قوات الاحتلال الإنجليزى ما اتبعه الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى من تعسف وقسوة فى جمع أكثر من مليون فلاح للخدمة بالسخرة والتطوع الإجبارى مع القوات البريطانية والاستيلاء على محاصيل الفلاحين الزراعية [2] .

ولقد ساد فى عهد الاحتلال البريطانى عديد من مظاهر الفساد التى انعكست أيضاً على القرية المصرية حيث كان المقاول يرشو الوزير حتى يحصل على عقد بشروط مجزية له ، وكان الموظف يرشو رئيسه حتى يحصل على ترقية ، وكان صاحب الأرض يرشو مهندس الرى حتى يحصل على ماء أكثر من حقه . وكان القضاة يصدرون أحكامهم لصالح من يدفع لهم أكثر .

وكان شيوخ القرى يحصلون على رشوة لإعفاء الفلاحين من السخرية والجندية .

([1]) عبد المنعم شوقى : العمل مع المجتمعات المستحدثة ، القاهرة ، دار التعاون للطبع والنشر، 1977م

([2]) فاطمة علم الدين: التطورات الاجتماعية فى الريف القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،1984م ص179

أما رجال الشرطة فقد كانوا يأخذون الرشوة من كل من يشاء سوء حظه الاتصال بهم ، وهكذا كما يقول عالم الاجتماع المصرى عبد المنعم شوقى تعلم المصريون ومنهم الفلاحون بأن الأمور لا تسير إلا بالرشوة ن وأن الوساطة هى الوسيلة الفعالة للحصول على الحقوق ، وطالما أن الفلاح لا يملك المال ولا معرفة الكبار للوساطة فأمره لله ، حقيقة أنه قد يرشو شيخ البلد أو شيوخ الخفراء أو المعدة أو ضابط النقطة ولكنه لا يمكنه أن يذهب اكثر من ذلك . وإن ما يحدث فى وقتنا الحال من محاولة الفلاح المصرى فى قضاء بعض أموره عن طريق وساطة أحد أعضاء مجلس الشعب أو الشورى ما هو إلا امتداد لما غرسه الاستعمار البريطانى.

أولاً : مشكلات المجتمع الريفى :

ويمكن هنا عرض أهم المشكلات التى يعانى منها المجتمع الريفى:

1. المشكلات الاقتصادية :

وتتمثل هذه المشكلات فى المظاهر الآتية :

أ- قلة الدخل :

حيث أدى انخفاض أجور الفلاحين وارتفاع إيجار الأرض والبطالة الموسمية إلى قلة دخل الفلاح ، هذا بالإضافة إلى إنعدام وجود مجالات غير زراعية للكسب ، وفرص العمل المحدودة ، وكثرة الإنجاب التى تزيد من عدد الأطفال كفئة مستهلكة غير منتجيه مما يقلل باستمرار من نسبه الفئة الوسطى التى تقوم بالإنتاج .

ب- ندرة رأس المال :

إن رأس المال الذى يمتلكه الفلاح يتكون من الأرض والأدوات والمواشى وهو رأس مال ثابت . وأن الحصول على رأس مال سائل يستلزم من الفلاح الإستدانة من المرابين ، كما أن عدم كفاية رأس المال أو عدم توفره يحول دون الاتجاه إلى الزراعة الكثيفة التى تحتاج إلى رأس مال كبير وعمالة أكثر وفترة انتظار أطول حتى يظهر المحصول.

ت- ضعف الإنتاج :

وهذه المشكلة ترتبط بعدة عوامل منها التمسك بإتباع طرق الزراعة التقليدية القديمة وعدم استعمال الأدوات الحديثة ورفض النصائح والإرشادات القائمة على الأبحاث العلمية والتجارب الناجحة وعدم كفاية أساليب ووسائل حماية النباتات والمحاصيل والآفات والحشرات التى تفتك بجزء كبير من المحصول مما يجعل المحاصيل الزراعية تعطى إنتاجاً أقل من الحد الأمثل .

وكذلك الحال بالنسبة للحيوان والدواجن حيث أدى عدم تربية الأصناف التى تعطى إنتاجاً كبيراً فى اللحم أو اللبن والبيض وعدم الدراية بوسائل التربية والتغذية السليمة إلى ضعف الإنتاج الحيوانى إلى درجة كبيرة .

ث- <u>الاعتماد على محاصيل معينة :</u>

حيث إن الاعتماد على إنتاج محصول واحد خاصة إذا كان من المحاصيل التصديرية يجعل المنتج تحت رحمة المنافسة والمضاربة فى السوق العالمية وتأثر أسعار المحاصيل بالأسعار العالمية .

ج- <u>فرص العمل المحدودة ونقص الحرف :</u>

وهى تعود إلى تزايد السكان بسرعة أكبر من زيادة الموارد الإنتاجية وإتاحة فرص عمل جديدة وإلى نقص فى التخطيط والتدريب على الكثير من الحرف التى تحتاجها القرية والتى يمكن أن تستوعب الفائض من الأيدى العاملة مثل السمكرة والنجارة والميكانيكاً وصيانة الآلات حيث إن القرية اعتادت أن تسد احتياجاتها من هذه الحرف مما هو متوفر فى المدينة .

ح- <u>قلة الاهتمام بنشر الصناعات الريفية والمنزلية :</u>

حيث عانى الريف كثيراً من هذه المشكلة فى الماضى ، وكان من أهم أسبابها نقص التخطيط لإنتاج الصناعات التى تتفق وحاجة الأسواق وقلة المساعدات المالية التى تقدم لتطوير الصناعات الموجودة والحصول على المواد الخام وتسويق الإنتاج ، وكذلك نقص الأبحاث الفنية اللازمة وبرامج التدريب التى تؤدى إلى الإبقاء على الصناعات اليدوية بشكل متجدد قائم على تطور صناعى وفنى يجعل لها طابعاً مميزاً يمكنها من الصعود أمام المصنوعات التى تنتجها المصانع الكبيرة الحديثة .

2. المشكلات العمرانية :

ومن مظاهر هذه المشكلات ما يلى [1] :-

- عدم وجود تخطيط عام للقرية وانتشار مساكنها ومرافقها بصورة عشوائية .
- ضيق الطرق وعدم استقامتها مما يعوق حركة السير أو النقل داخل القرية .
- تلاصق المنازل وعدم توفر الاحتياجات المعيشية والصحية ووجود الحظائر داخلها وتخزين القش والبوصى على سطحها .
- قلة وسائل المواصلات بين القرى أو بينها وبين المدن .
- عدم وجود طرق ممهدة توصل إلى القرى وتربطها بالطرق الرئيسية.
- عدم توفر المساكن أو الأماكن المناسبة للموظفين أو العاملين بمرافق وأجهزة الخدمات المختلفة من غير أهل القرية .

3. المشكلات الصحية :

ومن مظاهر هذه المشكلات :-

- انتشار الأمراض المتوطنة ووجود البرك والمستنقعات كمصدر لنشر أمراض البلهارسيا والانكلوستوما والملاريا والدوسنتاريا والتيفود والتبول والتبرز فى مجارى المياه مع استخدام مياهها للشرب أو للاستحمام أو غسل الخضر والملابس .
- وجود أماكن تكاثر الحشرات الناقلة للأمراض كالذباب والبراغيث والفئران مثل أكوام السباخ والفضلات الآدمية والحيوانية فى الطرقات والحظائر والمنازل .

([1]) فوزى رضوان : مبادئ علم الاجتماع الريفى والحضرى ، مذكرات جامعية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، 1984 ، ص ص 72 – 73 0

- قلة التهوية بالمساكن وامتلائها بالدخان الناتج عن الأفران المنزلية بما يؤدى إلى الإصابة بأمراض سوء التهوية مثل السل وأمراض الجهاز التنفسى والإنفلونزا .
- الجهل بالأمراض المختلفة وطرق الوقاية منها وعدم الاهتمام بالتحصين ضد الأمراض للوقاية منها .
- قلة الوعى الصحى والتى تتمثل فى عدم الإسراع بالعرض على الطبيب عند الشعور بالمرض ، حيث يفضل أهل القرية إستخدام الوصفات البلدية ووسائل العلاج البدائية ، كما لا يهتم أهل القرية بأهمية عزل المرضى والمصابين بأمراض معدية أو الإبلاغ عنهم مما يساعد على انتشار هذه الأمراض وإصابة أفراد الأسرة والجيران بها.
- سوء التغذية واعتماد الفلاح على وجبات لا تفى بالاحتياجات اللازمة للجسم مما يجعله عرضه لإصابة بالأمراض الناتجة عن نقص التغذية أو الفيتامينات .
- عدم توفر الخدمات الصحية والعيادات الطبية بالقرى أو قلة الأطباء بها .
- عدم الإقبال على تنظيم النسل وكثرة إنجاب الأطفال التى تؤدى إلى ضعف الأم والأطفال .

4. المشكلات الثقافية :

ومن أهم هذه المشكلات ما يلى :-

- سيطرة الأمية على غالبية السكان فى المجتمع الريفى وهذا مرتبط بظروف المجتمع وارتفاع تكاليف التعليم وقلة المدارس فى القرى مع وجود التسرب الدراسى بين أبناء الفلاحين بسبب تكدس الفصل الدراسى مع قيام الآباء بتشجيع الأبناء على ذلك للاستفادة بهم فى العمل الزراعى .
- عدم الاهتمام بالمناهج الدراسية وعدم ملائمتها للحياة فى الريف ، حيث أن نظام التعليم العام يخلق مواطناً يعرف القراءة والكتابة دون أن يتعلم ما يهتم البيئة ويربطه بها ليعيش فيها كمزارع أو صانع مثقف .
- هجرة المتعلمين والمتعلمات إلى المدنية بعد اصبحوا غير قانعين بحياة الريف .
- قلة مصادر الثقافة والمعرفة فى القرية مثل الجرائد والمجلات والكتب خصوصاً تلك التى تناسب مستوى التعليم فى القرية أو قدرات الذين محيت أميتهم .
- عدم وجود القنوات الثقافية الأخرى المتمثلة فى المسرح والسينما ، ولا يبقى فى المجتمع الريفى سوى الإذاعة والتليفزيون وقد يلعب هذين المصدرين دوراً فعالاً فى تنمية الثقافة عند الريفيين ، لكنه وفى ظل سيطرة قيم ومفاهيم الطبقة الوسطى المصرية على هذه الأجهزة فإن الإذاعة والتليفزيون يلعبان دوراً معاكساً فى تشويه ثقافة أهل الريف ، ويبث فيهم عناصر ثقافية مشوهة ومتضاربة مما يفقدهم وعيهم النظرى فى الوقت الذى لا يكتسبون فيه وعياً حقيقياً بمشاكلهم

وطرق حلها ، وبالتالى نجدهم فاقدين وعيهم الثقافى تماماً أو على الأقل قابعين فى اسر وعى زائف . وأن افتقاد أهل الريف للوعى الثقافى يهئ لهم الوقوع فى براثين المفاهيم القدرية والتواكلية وتغلب فيهم الأمراض الاجتماعية والنفسية [1] .

([1]) سام باسيليوس وآخرون : مبادئ علم الاجتماع الريفى والحضرى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، 1983 ، ص 391 0

5. المشكلات السياسية :

تنبع المشكل السياسية للقرية المصرية من مصدرين أساسيين :-

المصدر الأول :هو التاريخ السياسى القديم للقرية المصرية .

أما المصدر الثانى : وهو الواقع السياسى المعاصر للقرية المصرية .

فالفلاح المصرى منذ أقدم العصور كان خاضعاً لسيطرة حكام وملاك تباينت مسمياتهم على مدار التاريخ فمن مالك الرقبة وهو الدولة أو حاكم البلاد فرعون مصر الذى كان يملك كل شئ فى البلاد إلى حكم الأمراء فى عهد الإغريق والرومان والحكم العثمانى ، والمماليك ثم محمد على وأبنائه والاحتلال البريطانى وما تضمن ذلك من ظلم فادح للفلاح المصرى من حيث عدم تملكه لأراضى ، وتطبيق نظام الالتزام هذا النظام الذى ابتداع فى نهاية عصر المماليك ويقصد به أن يلتزم شخص بجباية الضرائب الزراعية المقررة على قرية أو أكثر ويعطى له عقد الالتزام وأمر إلى مشايخ دائرة التزامه وأهلها بالخضوع لأوامره وتأدية الأموال إليه ، وذلك بعد أن يدفع مبلغاً من المال مقدماً باسم " المعجل " وبعد ذلك يحق له أن يجتهد فى الحصول على المال الذى " عجلة " للخزينة . وعلى فوائده التى كان يقرر سعرها هو بنفسه كما يريد ، وكان يحصل على أرض غير التى التزمها معفاه من كل ضريبة ن يزرعها له أهل الدائرة سخرة لمنفعته وهى المعروفة " بالأواسى " ويقول عالم الاجتماع المصرى عبد المنعم شوقى أن الضرائب كانت تمثل الصلة الأولى بل الوحيدة أحياناً بين الشعب المصرى وحكامه ، وكانت هى المصدر الرئيسى للدخل للدولة فى معظم العصور ، ولم يكن هناك عدالة فى توزيع الأعباء الضريبة بين المواطنين ، فبينما كان الفلاح منهكا بأنواع لا حصر لها من الضرائب كان الحكام وكبار رجال الدولة لا يكادون يشعرون بها ، وكان جزء كبير من دخلها ينفق على حياة البذخ التى كان يحياها كبار رجال الدولة بينما

كان السواد الأعظم من الريفيين يعانون شظف العيش وقسوة الحياة ، يضاف إلى ذلك القسوة البالغة فى جمع الضرائب وتوقيت جمعها الذى كان كثيراً ما يختلف مع مواعيد جمع المحصول .

كما يضيف عالمناً الجليل عبد المنعم شوقى أن الفلاحين كانوا مستبعدين عن المشاركة فى الحكم ، حيث أن المشاركة الفلاحين فى الحكم أمر بعيد المنال وبعيد عن التصور فى أى عهد من عهود الحكم منذ قدماء المصريين إلى بداية ثورة 1952 ونقصد بذلك حق مشاركة الفلاحيين فى حكم القرية ، والمقصود بالفلاحيين هنا العمال الزراعيين وصغار الملاك .

فلقد كان المستعمر الإغريقى والرومانى والغربى مسيطراً فى العادة على الحكومة المركزية وحكومات الأقاليم تاركاً حكومة القرية لكبار الملاك الذين يخضعون الفلاحون لإرادتهم عن طريق القسوة حينا والهيمنة على مقدراتهم الاقتصادية حينا آخر حتى فى الفترات الأخيرة من ثورة عرابى ، ووصل الكفاح المسلح إلى مرحلة لا بأس بها ، واضطر الإنجليز تبعاً لذلك إلى إشراك المصريين فى الحكم فى مستويات مختلفة ، إلا أن الفرصة كانت مواتية لكبار الملاك دون غيرهم وبقى الفلاح الحقيقى بعيداً عن الاشتراك فى الحكم أياً كان لونه أو مستواه ، لهذا كله كانت الأمور تسير أما فى صالح المستعمر المستغل أو فى صالح المالك الكبير المستغل ، أما الفلاح فقد كان دائماً هو موضع الاستغلال [1] .

أما المصدر الثانى وهو الواقع السياسى المعاصر للقرية المصرية ويمكن هنا أن نعتبر ثورة 1952 هى البداية الحقيقية لمشاركة الفلاح فى الحكم حيث نصت حكومة الثورة على ضرورة مشاركة العمال والفلاحين بنسبه لا تقل عن 5. % فى المجالس التشريعية ، إلا أن تاريخ الظلم والحرمان السياسى

([1]) عبد المنعم شوقى : (1977) ، مرجع سابق ، ص 95 – 127 .

الطويل على مدار العصور السابقة على الثورة ساهم فى ترك العديد من الآثار السلبية على الفلاح المصرى ، حيث اتسمت شخصيته بالسلبية والإتكالية وعدم التمرس على استخدام الأساليب الديمقراطية ، بل إن مشاركته السياسية كانت بهدف تحقيق أهداف شخصية لا أهداف عامة ، كما نلاحظ فى أوقاتنا الحالية وعمليات انتخاب عضو مجلس شعب أو عضو مجلس محلى ... الخ . هذا بالإضافة إلى أن الفلاح بطبعه لا يثق فى الحكومة وممثليها فهو يقف موقف الريبة والشك والتوجس من ممثلى السلطة وهذا ما أدى بالطبع إلى اتساع فجوة الثقة بين الفلاح والحكومة التى تهدف أساساً إلى تحقيق مصالحه ، إلا أن الشعارات الهوجاء التى يطلقها بعض المسئولين لتحسين مصالح الفلاح ورفع مستوى معيشته والتى قد ينخدع لها بعض البسطاء من الفلاحين ثم يفاجئون بما يتسم به هؤلاء المسئولين من كتب وخداع وتضليل فإن ذلك كله يؤدى إلى إتساع فجوة الثقة بين الفلاحين والحكومة .

6. المشكلات الاجتماعية :

وتتمثل هذه المشكلات فى عدة أمور منها ما يلى :-

أ- تفشى بعض العادات والتقاليد التى تحد من التطور وتعتبر معوقاً للتنمية ومن هذه العادات والتقاليد الفهم الخاطئ لحق القصاص فى الإسلام بما أدى إلى تفشى ظاهرة الأخذ بالثأر . وكذلك تفشى ظواهر التعصب القبلى الدينى ، والتمسك ببعض المثال الشعبية التى تشجع على السلبية والتواكل . وعلى سبيل المثال فإن من طبيعة المجتمع القروى أن يحول دون خروج المرأة إلى العمل خوفاً من مشاركتها فى الحياة ونضج وعيها حيث يقولون فى أمثالهم (اللى تخرج من دارها يتقل مقدارها) كما يقولون (قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى بين أحبابى) كما أن أمثلة تشجع على عدم الإقبال على العلاج الطبى والاستفادة من التقدم العلمى فى هذا المجال حيث يقولون (إسأل مجرب ولا وتسأل طبيب) .

ب- تفشى بعض القيم السلبية التى تعد أحد المقومات الأساسية أمام تنظيم الأسرة ومكانة المرأة فى المجتمع الريفى ومن بين هذه القيم والمعتقدات ما يلى:-

أ- التباهى بكثرة إنجاب الذكور :

حيث نجد فى الريف تفشى المثل القائل " العزوة حلوة " حيث أن الأولاد يمثلون قوة إنتاجية من ناحية واجتماعية من ناحية أخرى لهم فهم قوة إنتاجية لأنهم يقومون بكثير من العمليات الزراعية منذ طفولتهم ، وهم أيضاً قوة اجتماعية لدورهم فى تحقيق هيبة العائلة ومكانتها وسطوتها فى المجتمع القروى . وينسى أهل الريف أو يتناسون أن التفاخر فى القرن الحادى والعشرين ليس بالعدد وإنما بنجاح الأسرة فى تأدية دورها فى إعداد الأولاد وتربيتهم فى ضوء متطلبات عصر التكنولوجيا والعولمة ، كما أن تحقيق

الهيبة والسطوة والمكانة لم يكن إطلاقاً بكم الأولاد ، بقدر ما يكمن فى كيفية إعداد هؤلاء الأولاد خاصة وأن الدولة أعطت للقانون والنظم السائدة فى المجتمع القوة فى حماية كافة الأسر على سواء .

ب- <u>تفضيل الذكر على الأنثى</u> :

ويكون هذا التفضيل مبنى على عدة أسس ما زال يؤمن بها كافة أفراد المجتمع الريفى ونحن فى أوائل القرن الحادى والعشرين ومن هذه الأسس أن الذكور يحافظون على أسم الأسرة فى نسلها ، كما أن ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى ، فهم بذلك يحافظون على ملكية الأسرة بعكس الأنثى التى تنقل ملكيتها إلى أسرة زوجها . وهناك العديد من المظاهر التى يمكن أن نشاهدها فى بعض الأسر الريفية والتى تدعم هذا التفضيل أن النساء يتناولن طعامهن بعد الرجال ، وغالياً ما يكون أقل منه فى المقدار ، فالرجل يعمل وينتج أما المرأة فدورها واهن وضعيف . وهناك من الأمثلة السائدة فى ريفنا المصرى تؤكد على مبدأ التفضيل منها " من كثرت بناته صارت الكلاب صهراته ، أم الغلام تستاهل الإكرام ن يجعل عزوته رجاله " ن إلا أننا يجب أن نذكر أهل الريف بأن تعليم الفتاة وخروجها إلى العمل جعلها تتفوق عليه فى مجال التعليم والعمل ، فالفتاة قبل زواجها وبعد دخولها فى مجال العمل تساهم فى ميزانية أسرتها ، فى حين أن الفتى قبل زواجه وبعد دخوله العمل لا يساهم فى ميزانية أسرته ، هذا بالإضافة إلى دور الفتاة بعد الزواج فى المساهمة فى تدبير ميزانية أسرتها الجديدة بالمشاركة مع زوجها .

ت- <u>الاعتقاد فى أن الإبن الوحيد يجب أن يعوض ما لم تقدر عليه أمه :</u>

حيث يعتقد أهل الريف أن الإبن أو الإبنة الوحيدة ترث قلة النسل ، ولذا فإن على الإبن الوحيد أو الإبنة الوحيدة أن يسعيا بقدر الإمكان إلى زيادة

الإنجاب وذلك تعويضاً عن ما لم تقدر عليه أمهما ... ويجب أن نذكر أهل الريف أن القدرة على العمل من الأمور التى لا تورث ، وأنه يجب أن نعطى للنشئ الجديد الحرية فى كيفية تكوين الأسرة وفى تنظيم الإنجاب طبقاً لظروفهم .

ث- الاعتقاد فى أن تنظيم النسل تدخل فى مشيئة الله وكفر به :

ويسود هذا الاعتقاد فى المجتمع الريفى المصرى حيث أن معظم أفراده لا يخططون لمستقبل حياتهم وإنما يتركون أمورهم للحظ والمصادفة . ولذا فإن دور الوعى والإرشاد الدينى هام جداً فى بيان الحكام الدين الحنيف الحقة فى هذه الأمور ، فالدين الإسلامى حض على استخدام العقل والتفكير والعلم فى تخطيط حياة الإنسان وبذل الجهد والعرق فى سبيل كسب العيش ولا تعارض مطلقاً بين تعاليم الدين واتخاذ الإنسان ما يراه فى مصلحته ويحقق صحة الأم ويتناسب والإمكانيات الاقتصادية للأسرة .

ج- الاعتقاد فى أن المحافظة على الزوج لا تتم إلا بكثرة الإنجاب :

حيث يسود هذا الاعتقاد بين النساء الريفيات ويبررن ذلك بأن كثرة الإنجاب كفيلة بأن تستهلك الموارد الاقتصادية للزوج التى لا تجعله يفكر فى الزواج مرة أخرى ، بل ويسود بينهن المثل الشعبى " قصقصى ريش طيرك ليلوف بغيرك " وتتم هذه المقولة عن طريق استنفاذ موارد الزوج الاقتصادية بالصرف على الأولاد الكثيرين . وهذا بالطبع اعتقاد خاطئ لأن الفيصل فى تفكير الزواج بزوجة أخرى ليس مجرد اقتصاديات الزوج بل قد تكون اقتصاديات الزوجة الجديدة من العوامل المؤثرة فى الزواج علاوة على زوجته، كما أن زيادة مسئولية الأعباء إلى الدرجة التى تثقل كأهل الزوج وتفوق طاقاته الاقتصادية قد تضطره إلى الهروب من الحياة الزوجية ، خاصة

وأن مسئوليته الشرعية لا تتعدى ربع أجره أو مرتبه ، وكما يقول مثل آخر يعارض المثل الأول " إذا كنتى عايزة جوزك يطير خلفى له عيال كثير " .

وهنا نعرض بعض العوامل والمتغيرات التى إن فكرت فيها الزوجة العاقلة تجعلها لا تقبل على الإنجاب بكثرة حتى يمكن أن تحافظ على زوجها ومنها ما يلى :-

- لا تتمكن الزوجة بكثرة الإنجاب وتكراره من المحافظة على قوامها وجمالها وصحتها ، كما أن ذلك يتطلب رعاية عدد كبير من الأولاد وهذه الرعاية تؤثر بلا شك فى صحة الأم الجسمية والانفعالية والعاطفية وينعكس ذلك على علاقتها بزوجها .
- لا تجد الأم مع العدد الكبير من الأولاد وقتاً مناسباً لتراعى مصالح زوجها ، اللهم إلا إذا أهمت مصالح أولادها .
- المشكلات والمضايقات الاقتصادية والمالية الناشئة عن عدم كفاية الدخل وعدم توازنه مع متطلبات الكثرة العددية تقضى على إمكانية محافظة الزوجة على زوجها .
- كثرة الإنجاب تؤثر تأثيراً سلبياً على صحة الأم مما يستلزم بنداً خاصاً لعلاجها ورعايتها الطبية .

إذا فالنجاح والاستمرارية للأسرة وتماسكها واستقرارها لا يتحقق بالكثرة العددية بل قد تكون هذه الكثرة سبباً فى انهيارها وتصدعها .

ح- الاعتقاد فى أن الأولاد مصدر رزق للأسرة :

حيث إن أهل الريف بصفة عامة يعتقدون فى أن الأولاد مصدر رزق للأسرة فزيادة عدد الأولاد تسهل له عملية فلاحة الأرض إذا كان مالكها لها ، أما إذا كان عاملاً أجيراً فإن زيادة عدد الأولاد تمكنه من أن يزيد من دخل الأسرة من خلال تشغيلهم فى العمليات الزراعية ن إلا أن الواقع الذى قد يجهله أهل الريف يؤكد أن زيادة عدد الأولاد تعد تكلفة لا يقابلها عائد إلا بعد مدو طويلة خاصة مع إلزامية ومجانية التعليم الأولى، ومن الواجب على الباحثين فى كافة المجلات المتعلقة أن يذكروا أهل الريف بهذه الحقيقة .

فالأسرة لكى تؤد واجبها على أكمل وجه خاصة فى عصر العولمة لأبد من الآتى :

- حسن اختيار طرفيها كل منهما الآخر .
- إدراك كل من طرفى الأسرة لواجباتها ومسئولياتها فى الكيان الأسرى.
- توفير مصدر الدخل اللازم لتوفير الضروريات اللازمة لحياة الأسرة والتخطيط السليم لأوجه إنفاق هذا الدخل ، مع العمل على أن يكون هناك رصيد مدخر لمواجه الطوارئ .
- تزويد طرفى الأسرة بالمعلومات الأساسية فى مختلف نواحى الحياة الأسرية وعلى الأخص الثقافة الجنسية ، الثقافة الصحية ، نفسية الطفل وأسس تنشئته ورعايته صحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ، وكذلك ما يرتبط بالوجبات الغذائية المتكاملة فى حدود إمكانيات الأسرة ، الإصلاحات المنزلية البسيطة وكذلك الإسعافات الأولية.

- إيمان طرفى الأسرة بأن الحياة الزوجية تتطلب التعاون والتراحم والتواد بين طرفيها وأن يعمل كل منهما بإيجابية على إسعاد الآخر وإزالة العقبات التى قد تعوق الاستقرار والتماسك الأسرى.

هذا ومن بين الأهداف التى تكمن وراء إقامة وتكوين الأسرة إنجاب الأولاد وتنشئتهم وإعدادهم للحياة حفاظاً على الجنس وأداء لرسالة متتابعة منذ بدء الخليقة ، إلا أن الإنجاب لا يجب أن يكون الهدف الرئيسى للأسرة ولا أن يغالى على تقدير أهميته بحيث يحجب الأهداف الأخرى وأهمها المودة والرحمة والتعاون والألفة والمعاشرة الحسنة والحياة المريحة للطرفين . كما أن هذا الإنجاب لا يجب أن يتجه إلى العدد والكثرة ، وإنما إلى الملاءمة بين إمكانيات الأسرة والمجتمع اقتصادياً واجتماعياً وصحياً ... الخ . ويوضح العدد الذى يمكن للأسرة إنجابه ، أن تنظيم الإنجاب له أكبر الأثر فى حياة الأسرة وتخطيط مستقبلها .

ومما هو جدير بالذكر هنا هو أن الميل إلى كثرة الإنجاب وزيادة عند الأولاد يتناسب عكسياً مع المستوى الثقافى لطرفى الأسرة ، فالأسرة الأكثر ثقافة أكثر إحساس بالمسئولية ، وبالتالى أعمق إيماناً بأهمية تنظيم الإنجاب من الأسرة الأقل ثقافة والتى تدرك إدراكاً حقيقياً لمسئوليتها فى إعداد أطفالها للحياة إعداداً سليماً يتفق وتطور هذه الحياة [1] .

وهناك العديد من المشكلات الاجتماعية التى يعانى منها الريف المصرى بصفة عامة وفى صعيد مصر بصفة خاصة منها مشكلة التعدى على الأراضى الزراعية تلك المشكلة التى أدت إلى خلق العديد من المعوقات أمام التنمية الزراعية فى تحقيق معدلات سريعة للنمو والتى خصص لها الكاتب دراسة

([1]) حسن همام : علم الاجتماع وقضايا فى علم الاجتماع الريفى ، كفر الشيخ ، مطبعة الأصدقاء ، 1997.

مستقلة ... ومنها أيضاً مشكلة الثأر والتى اعتقد البعض أنها فى سبيلها إلى الإندثار إلا أن كارثة بيت علام بجرجا التى وقعت فى تمام الساعة السابعة صباح يوم السب الموافق 1. أغسطس 2..2 م والتى راح ضحيتها 22 فرداً من عدة عائلات أمر يجعلنا نعيد النظر فى دراسة هذه المشكلة ، فعلى الرغم من أن الثأر تصرف انفعالى يقصد به إزهاق الروح وبدافع الانتقام الغريزى يقوم به فرد أو اكثر من أقرباء المجنى عليه ضد الجانى أو أكثر من الأقربين إليه، إلا أن الثأر فى حقيقة الأمر نظام اجتماعى حيث إن المجتمع كله يعترف بحق الرد العدوانى المماثل طبقاً لشروط معينة . ولقد خصص الكاتب لهذه المشكلة أيضاً دراسة مستقلة .

ثانياً : مشكلات المجتمع الحضرى :

مقدمة :

يختلف سكنى المدن عن ساكنى الريف فى عدد من الطرق والأساليب فساكنى المدن لهم مستويات مرتفعة من الدخل والتعليم ، وحراك اجتماعى أكبر ، وأسر صغيرة الحجم ، وتنوع أكبر ، وزواج أقل استقراراً ، ومعدلات أعلى فى إدمان الخمور وتعاطى المخدرات والانتحار والمرض العقلى .

وهناك فرق واضح بين الحضرية Urbanism والتحضر Urbanization فمصطلح الحضرية يشير إلى نظام للمعايير والقيم وإلى مستوى الأفراد فى المعتقدات والاتجاهات والسلوك [1] . ويرى لويس ويرث Louis Wirth أن الحضرية يمكن تحديدها كطريقة للحياة، ووضع الحجم ، والكثافة ، وعدم التجانس فى الاستقرار والثبات ، وهى أساس المعيار الذى يجب أن يستخدم فى تحديد الحضرية [2]، أما التحضر يمكن تعريفه بأنه العملية التى يتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة فى الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية . أو عن طريق هجرة الريفيين إلى المدن الموجودة ، وشمل ذلك التغيرات التى تحدث لطبائع وعادات طرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة فى المدن [3] . وفى الحقيقة فإن التحضر فى الحالة الأولى – أى عن طريق تغير الحياة فى الريف ليس بالمشكلة الكبرى إذا قيس بالتحضر عن طريق الهجرة لأن التحضر فى الحالة الأولى يحدث تدريجياً وبذلك يسهل على الريفيين التكيف فى الحياة الجديدة . أما فى

([1]) Mannel Gastells, "Theory in Urban Sociology" .. in C.G. Pick Vance, "Urban Sociology. Critical essays", London : Tavistocks Publications Ltd, 1977, p. 65.

([2]) Josef Gugler and William, G. Elanagen, " Urbanization and Social change in West Africa, U.S.A Combridge University press, 1978, p. 19.

([3]) عبد المنعم شوقى : مجتمع المدينة الاجتماع الحضرى ، ط5 ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، 1967 م ، ص 23 .

الحالة الثانية وهى هجرة الريفيين إلى المدن ، فإن هذه الحالة يصاحبها فى أغلب الحالات هزة نفسية وصدمة ثقافية Cultural Schock تترك المهاجر قلقاً حائراً مبلبل الفكر مما يؤثر فى عمله وإنتاجه بقدر كبير [1] وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن الحضرية مدلولاً إستاتيكياً Static حيث ينظر إليه كطريقة للحياة . فى حين أن للتحضر مدلولاً ديناميكياً Dynamic حيث يعرف كعملية تحويل المناطق الريفية إلى مناطق حضرية أو العملية التى يتم بها زيادة حجم سكان الريف الذين يأتون للمعيشة فى المدن [2] . والحضرية كما يقول " مارشال كلينارد " هى أسلوب فى الحياة يصاحبه عادة مجموعة من الخصائص كالفردية والتغير الثقافى السريع والمادية المفرطة والإنهيار فى وسائل الضبط غير الرسمية ، وقد ترتبط هذه السمات بالتحضر الذى ينتج عن تركز السكان وتوطن الصناعة . والحضرية لا ترتبط دائماً بالتحضر على الرغم من أن هناك مناطق ريفية تتوفر فيها كثير من سمات الحضرية ، وعلى العكس من ذلك قد نجد مناطق ريفية تحيطها مدن كبرى ولكنها لا تمثل فى الواقع سوى عدد ضئيل من هذه السمات . كما أن المدينة فى حد ذاتها قد تتباين فى درجة توفر السمات الحضرية فيها . ولقد أدت الحضرية إلى التحول فى العلاقات الاجتماعية فى مختلف أنحاء العالم ، وأصبحت المرأة الحضرية تتمتع بقر كبير من الاكتفاء الذاتى مطالبة بتحقيق المزيد من المساواة بالرجل ، كما أنها أصبحت غير قانعة بالأدوار التقليدية للأسرة، كما أدت الظروف الحضرية إلى معاناة كبار السن للهامشية والاغتراب ، حيث يفقد كبار السن مكاناتهم وأدوارهم تلك التى كانت تحقق لهم الشعور بالهيبة ، وهذا ما أثبتته كثير من البحوث والدراسات السوسيولوجية . ولقد حطمت الحضرية كثيراً من

([1]) المرجع السابق ، ص ص 101 – 102 .

([2]) Steven Vago; (1989), Op. Cit., P. 137.

النسق العائلى التقليدى وخلقت جماعات جديدة ترتكز على أسس عديدة كالعمر والمهنة والتعليم ، كما أنها ساعدت على ظهور الثقافات الفرعية للمراهقين التى تختلف غالباً عن ثقافات الأسرة والمدرسة . ومن خلال الآثار التى نجمت عن الحضرية يمكن أن نجد تفسيراً مقنعاً للجرائم التى يرتكبها الشباب .

ولقد كشفت الدراسات المعنية بتأثير الحراك المكانى على السلوك المنحرف عن إحدى المشكلات التى يعانى منها المجتمع الحضرى ، حيث أشارت إلى أن العامل الأمريكى يميل إلى تغيير محل إقامته ثمانى مرات خلال حياته ن وأن هناك اثنين من ثلاثة يهجرون تماماً المجتمع الذى نشأوا فيها ، ولا شك أن الحراك المكانى حتى فى حالة كونه داخل المجتمع يتضمن غالباً فقدان الأهل والقارب والجيران ، ومن ثم يواجه الأطفال والراشدون معايير وأدواراً جديدة ، وهنا يتحتم عليهم التوفيق بينها وبين التى ألقوها من قبل [1] .

([1]) Marshall, B. Clinard : "Sociology of Deviant Behaviour", N.Y. Holt, Rinhart Winston. 1961, pp 57 – 59.

تاريخ المدن History of cities :

تعد المدن الكبرى ظاهرة حديثة نسبياً ، حقيقة إن التاريخ القديم يحدثنا عن بعض المدن مثل أيضاً أثينا Athens وروما Rome والقدس Juerusalem واسطنبول Constantimpole ، ولكن بالمقارنة بالمراكز الحضرية المعاصرة فإن هذه المدن تبدو صغيرة ، فمثلاً فى عام 14.. كانت لندن أكبر مدينة فى أوربا وكان عدد سكانها 35 ألف نسمة [1] . اليوم مدينة نيويورك بها أكثر من 7 مليون مواطن . وإذا ما أجملنا عدد سكان ضواحى مدينة نيويورك سيصبح عدد سكانها أكثر من 2. مليون مواطن [2] . ولقد ازداد عدد المدن فى الولايات المتحدة الأمريكية تحت تأثير ظهور الثورة الصناعية ، فحتى القرن التاسع عشر كانت الولايات الأمريكية عبارة عن دولة ريفية يعيش فيها أغلب السكان ويعملون فى مزارع صغيرة ، وأن مدن قليلة كانت أساساً بها أسواق .

وفى القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ازدهرت الثورة الصناعية فى أوربا وأمريكا وكان ذلك فى الأساس ناتج عن التقدم التكنولوجى مثل تطور محركات البخار Steam engine .

وقبل الثورة الصناعية كانت توجد مجتمعات محلية قليلة فى أوربا وأمريكا التى كان سكانها يزيد على بعض الألف ، وإن إحدى نتائج الثورة

([1]) Paul B. Horton, Gerald R. Leslie and Richard F. Larson : the sociology of social problems 10th , ed (Englewood F. Larson : the sociology of social problems, 10th , ed (Englewood cliffs N.Y : prentice, Hall,) 1991 p. 214.

([2]) William Karnblum and josrph julian : social problems, 1 th ed Englewood cliffs, N.Y. Prentice 1992 p. 428.

الصناعية تكمن فى تطور المناطق الحضرية الواسعة التى تعتمد بصفة أساسية على الصناعات . وتحت تأثير ضآلة فرص العمالة فى المناطق الريفية فإن كثيراً من العمال تحركوا إلى المدن . ومع مثل هذه الحركات انهارت وتحطمت الروابط الأسرية والقرابية ، وهؤلاء الذين اصبحوا غير قادرين على التأقلم مع ما يواجهونه من افتقاد للهوية المحلية Loss of Community identity والانهيار الاجتماعى Social breakdown

كما إن الابتكارات التكنولوجية (مثل اختراع المصعد واستخدام الحديد الصلب فى تشييد المبانى) جعلت من السهل على المدن أن تتسع بصورة رأسية عمودية . كما أن الاختراعات الأخرى مثل خطوط السكك الحديدية والسيارات جعل من السهل على المدن أن تتوسع بصورة أفقية أيضاً . ولقد ساعدت خطوط السكك الحديدية على ربط أقاليم الدولة مع بعضها البعض من خلال التزويد بوسائل النقل السريع للأشخاص والبضائع ، كما تم بناء عدد من المدن على طول خطوط السكك الحديدية وحدث بعض التطور للمدن الكبرى.

وفى الماضى ومنذ قرنين من الزمان حدثت حركة مثيرة للناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ففى عام 178.م كان حوالى 9.% من سكان الولايا المتحدة الأمريكية يعيشون فى المناطق الريفية وغالباً فى مزارع صغيرة ، أما الآن وبالتحديد فى عام 1992م فإن أكثر من 77% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يقيمون فى المناطق الحضرية [1] .

ولقد أدى النمو السريع للمدن إلى خلق مجموعة متعددة من المشكلات الاجتماعية . بعض هذه المشكلات أمكن حلها ، فمثلاً فى بداية القرن العشرين عندما كان الخيل هو الأسلوب السائد للنقل كان يوجد قلق خطير حيث إن روث الماشية كان يشوه الحياة فى المدينة ويساعد على نشر الأمراض ، وأن

([1]) Ibid . p : 419.

اختراع السيارة ساعد على حل هذه المشكلة ولكنه خلق مشكلات جديدة منها تلوث الهواء والضوضاء وحوادث المرور التى أدت إلى قتل عدد كبير من الأبرياء وازدحام المواصلات والأعطال المرورية ... الخ .

وقبل بداية القرن العشرين كان معدل الوفيات فى المدن يفوق معدل الوفيات فى الريف ، ولقد تم حل هذه المشكلة فى بداية القرن العشرين بواسطة تطور نظم الاستهلاك المتكافئ ونظم إمداد المياه . كما أن الإختراعات والإبتكارات فى الصحة العامة والطب فى القرن العشرين أدت إلى تحسين ظروف المعيشة الحضرية ، ومع ذلك فإن كثير من المشكلات الحضرية قد ظل بدون حل ، وبعض هذه المشكلات قد ازداد خطورة وضراوة .

تعريف المناطق الريفية الحضرية :

من الجدير بالذكر أن معيار التفرقة بين الريف والحضر فى مصر يتم على أساس إدارى ، فى حين أن معيار التفرقة بين الريف والحضر فى أمريكا بتم على أساس إحصائى . كما تعد البيروقراطية أحد مظاهر الحضرية . ويرى بوجى Bogye أن المناطق الحضرية هى تلك المناطق التى يستوطنها عدد كثف من السكان حيث المصانع والتجارة وأفدارة وعدد ضخم من الخدمات المتخصصة . أما المناطق الريفية من وجهة نظر بوجى فهى تلك المناطق التى يقطنها عدد ضئيل من السكان وقد يكونوا متخصصين فى الزراعة والغابات أو العمل فى إستغلال الموارد [1] .

ويبدو أنه من الصعب علينا أن نحدد بشكل قاطع الخط الفاصل بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية . فلقد كانت الزراعة فى الماضى مثل على الحياة الريفية ، أما اليوم فإن كثيراً من المناطق الريفية تتوفر فيها خصائص الحياة الحضرية ، فعلى سبيل المثال فى المناطق الريفية القريبة من المراكز الحضرية نجد كثيراً من الناس يعملون فى المدن يشيدون منازلهم فى الريف ، كما يوجد أيضاً محلات للبقالة ، وحصلت للخدمة وبعض الأعمال الأخرى التى من شانها تتعدل فى مثل هذه المناطق بشكل يجعلها تصبح تدريجياً منطقة ريفية وشبه حضرية فى آن واحد . هذا بالإضافة إلى أم معدل كبير من المزارع يتم إجراؤها فى ضوء ما يسمى بالمقولات الزراعية Agribusiness . وهذه المقاولات الزراعية تخل محل المزارع الصغيرة ن كما تحمل المقاولات الزراعية بعض خصائص الحضرية [2] .

([1]) D. Bouge : principle of Demography, N.Y wiley, 1969. P. 465.
([2]) Charles Zastrow : Socialh Problems, 4th , ed p ; 474.

نظريات تأثير الحضرية :

هناك بعض التساؤلات التى مؤداها هل لساكنى الحضر أسلوب فريد النظر إلى الحياة ؟ وما هى تأثيرات الحضرية على سكنى المدينة ؟ ولعل الإشارة إلى نظريات كل من جورج زيمل George Simmel ولويس ويرث Louis Wirth وهوبرت جانز Herbert Gans وكلود فيشر Claude Fischer تجعلنا نجد إجابة لمثل هذه التساؤلات .

جورج زيمل George Simmel :

عرض جورج زيمل عالم الاجتماع الألمانى قضيته وأفكاره الكلاسيكية فى كتابه المدينة العاصمية والحياة العقلية The Metropolis and Mental life . والنشور فى عام 19.3م [1] . حيث لاحظ جورج زيمل أن الحضريين يتسمون بشكل دائم بالنشاط العصبى الحاد تحت تأثير المواصلات، والضوضاء ، والخطوات السريعة للحياة ، والإعلانات العديدة ، والزحام ، وكثير من المنبهات والمثيرات . وتؤدى مثل هذه المثيرات إلى زيادة تحميل على طاقة ساكنى المدن الذين لا يهتمون بأى شئ يجرى حولهم ، كما أنهم لا يهتمون جيداً بالأجنبى أو الغريب والمعارف الشخصية . وعلى أية حال فإن المدن تقدم فرصاً أكبر للأسماء المستعارة والحرية لكى تكون غير تقليدية ، كما أنها تزيد من فرص أن يكون السكان منعزلين ومنفردين .

([1]) George simmel : the Metropolis and Mental life, in Neighborhood city and Metropolis, ed R. Gutman and D. popenoe (N.Y: Random House, 1970).

لويس ويرث Louis Wirth :

تتشابه النتائج التى توصل إليها لويس ويرث مع واصل إليه جورج زيمل حول التأثير السيكولوجى للحياة الحضرية . ولقد نشر ويرث نظريته فى عام 1938 حينما كان يعمل فى قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو [1] ولقد طابق ويرث الخصائص الفريدة للمدن من حيث الكثافة والحجم والنوع لسكانها . وارتكزت نظريته على أساس أن المدن تزيد من مدى تأثر الشخصية والإضرابات الاجتماعية .

ولقد اتفق ويرث مع زيمل فى أن توافر القدر الهائل من الإثارة والنشاط تقود سكان المدن إلى يصحوا غير مهتمين بالغرباء والمعارف الشخصية . حيث يصبح المقيمون بالمدن غرباء a loof ومجهولين in personal, وأكثر جفافاً وفظاظة Brusque فى تفاعلاتهم مع الآخرين . مثل هذه الأمور المنفرة تهلهل الروابط التى توحد الناس الريفيين ، وفى بعض الحالات تكون هذه الروابط ممزقة تماماً الأمر الذى يؤدى إلى وجود ضحايا فى المدن من خلال الإحساس بالاغتراب alienation والعزلة أو الوحدة loneliness الأمر يجعلهم يحلقون فى خيالاتهم وأوهامهم ويفقد هؤلاء الدعم الانفعالى والضابط المجتمعى ، ونتيجة لذلك فإنهم يكونون أكثر ملائمة لأن يكونوا إما فى حالة إبداع ، أو أن يقبعوا فى السلوك المضاد اجتماعياً الذى يتضمن الجريمة والإنتحار والجناح والإضطرابات الإنفعالية والسلوكية .

وتسهم حياة المدنية فى إنهيار التحفظات والضوابط الاجتماعية والعلاقات بين الأشخاص بأسلوب مختلف . ويؤكد المدينة على المنافسة الاقتصادية وتقسيم العمل . وفى حالة التخصص العالى فإن الناس طبيعى أن يعرف

([1]) Louis Wirth : Urbanism as a way of life, American Journal of sociology, (july 1938 ; 1-240).

الواحد منهم الآخر بشكل سطحى ، وهذا يعنى أنهم يتفاعلون فى أدوارهم كالحلاق ، وموظف البنك ، وعامل البقالة ، وسائق الأتوبيس فنادراً ما يسعون إلى أن يعرف الواحد منهم الآخر بأسلوب عاطفى .

ونتيجة لذلك فإن سكان المدن يكونوا أقل احتمالاً لأن تكون لديهم روابط انفعالية حميمة فهم أكثر شعوراً بالعزلة والوحدة فى وسط الجماهير الضخمة ويتعلم ساكنوا المدينة كيفية تقبل عدم الاستقرار وعدم الأمان كأسلوب للحياة.

وهناك عوامل أخرى تؤدى إلى إنهيار الروابط الاجتماعية ، فساكنوا المدينة مجبرون يومياً لأن يقوموا بأدوار عديدة مختلفة فى تفاعلاتهم مع الجيران وفريق العمل ، والعملاء ، والتجار ، والأصدقاء ، والعائلة . حيث إن كثرة الناس والأماكن تؤدى إلى ضعف الروابط الاجتماعية . وبالإضافة إلى ذلك فإن الناس حيث إنهم يقضون أوقاتاً كثيرة فى التفاعل مع الآخرين فى العمل وفى أنشطة وقت الفراغ المميزة ، فإن السرة تصبح أقل أهمية . فكثر من سكان الحضر يشعرون باليعد ولديهم إحساس بالأنومى . وطبقاً لوجهة نظر ويرث فإن كل هذه العوامل تؤدى إلى الضعف أو إنحدار القيم الأخلاقية ، وتشجع على التفتت أو التشويش الاجتماعى Social disruption وتعزز الاضطرابات الشخصية .

هربرت جنز Herbert Gans :

ليس كل علماء الاجتماع الحضريين متشائمون حول الحياة الحضرية مثل ويرث ، حيث يؤكد جنز أن وجهة نظر ويرث توضح التحيز اللاحضرى وتعكس مدى كره الريف الأمريكى للمدن . ويؤكد جنز أن ويرث يتجاهل كثير من سكان المدن الذين لديهم إحساس قوى بالمجتمع المحلى . ويكشف جنز عن خمسة نماذج من المقيمين فى المدن . ويؤكد جنز على أن النموذجين الأخيرين من هذه النماذج الخمسة يعانى من العزلة الاجتماعية Social Isolation وتوضح الحياة الحضرية كما وصفها ويرث فى حين أن الثلاثة نماذج الأولى تعيش فى المدينة بسبب المنافع التى تقدمها المدينة من ناحية وبسبب الدعم الذى يحصلون عليه من الثقافة الفرعية من ناحية أخرى .

ويؤكد جنز على أن الطبقة الاجتماعية والعمر لهما تأثر أكب على أساليب الحياة الحضرية من المعيشة فى المدينة نفسها .

والنماذج الخمسة التى عرضها جنز هى كما يلى [1] :

1- المشاهير والعباقرة Cosmopolites :

ويشمل هذا النموذج الكتاب Writers والفنانين artists والمفكرين intellectual والمطربين entertainer والمهنيين Professional ويفضل هؤلاء الإقامة بالمدن بسبب أنشطتهم الثقافية .

2- العزاب Childless People :

وهؤلاء يختارون الحياة فى المدينة لقربها من فرص العمل وبسبب الحياة الاجتماعية .

([1]) Herbert J. cans : urbanism and suburbanism as a way of life A Reevaluation of definitions in Guman and popenpme, Neighbrhook, city and Metroplis. N. Y. Random House 1970.

3- القرويون العرقيون Ethnic villagers :

وهؤلاء يرغبون المعيشة فى مجتمعات محلية تتضمن نفس العرق ، والتى تساعدهم على المحافظة على قوالبهم الثقافية والقرابية .

4-المحرمون Deprived people :

ومن أمثله هؤلاء الذين يعيشون فى المدن المعجزة disabilities ، والفقراء Poor ، والأقليات minorities .

5- المخادعون trapped people :

وهؤلاء هم الذين يقبعون فى أدنى مستوى اجتماعى واقتصادى ، أو الذين يتقاعدون وغير قادرين على ترك جيرانهم الانحلاليين ، كما أنهم يعيشون على دخوله ثابتة .

6- كليودفيشر Claude Fisher :

لقد قام فيشر بتطوير نظرية عن الحضرية تلك التى أصبحت تعرف بالثقافة الفرعية Subculture [1] . ولقد اتفق فيشر مع ويرث فى أن المدن تؤدى إلى خلق تأثيرات إجتماعية وسيكولوجية ضخمة . ويؤكد فيشر أن هذه التأثيرات ليست نتيجة لوجود جماعات إجتماعية دنيا ، وإنما هى نتيجة لخلق جماعات جديدة فى المدن الناشئة .

وطبقاً لوجهة نظر فيشر المدن الجديدة تعد بمثابة مولد للثقافات الفرعية المتباينة (كالأمريكيين الصينين – طلاب الكليات ، مروجوا ثقافات المخدرات، جماعات الجنسية المثلية ، الفنانين ، العصابات الجانحة) .

([1]) Claude Fisher : the urban experince, N.Y : Harcourt Brace Jovanouich, 1970.

ويعتقد فيشر أن الناس فى المدن لديهم حياة ذات معنى التى تعد بصورة جزئية ناتجة عن العضوية والمشاركة فى الثقافات الفرعية ، والمدن تكون أكثر احتمالاً لأن تجذب قدر هائل من الثقافات الفرعية .

كما أن عملية الثقافة الفرعية تعد حقيقية ، ليس فقط بالنسبة لجماعات الأقلية العنصرية والعرقية ، ولكن أيضاً بسبب التباين الهائل للثقافات الفرعية الأخرى (الأكاديميين ، الإداريين ، متلقى الرعاية ، المجرمين ، الأطباء ، مبرمجى الكمبيوتر ، أطباء الأسنان ، الصيادلة ... الخ) . كما أن بعض الثقافات الفرعية تطور قيم وتقوم بأعمال تحقق منافع المجتمع المحلى كأعمال الإحسان التى يقوم بها البعض ، إلا أن هناك بعض الثقافات الفرعية مثل العصابات الجانحة تطور قيم وتقوم بأعمال من شأنها تهدم وتدمر المجتمع المحلى .

المشكلات التى تواجه المدن الكبرى :

تواجه المدن الكبرى العديد من المشكلات التى تتسم بالخطوة والإنتشار وتبدو لنا وكأنها مشكلات غير قابلة للحل ومنها مشكلة الأحياء المختلفة ومشكلة نقص التخطيط والتنسيق ، ومشكلة الجريمة ، ومشكلة الإسكان ، ومشكلة السكان ، ومشكلة النقل والمواصلات ، ومشكلة البطالة ومشكلة التحيز ضد الحضرية وغيرها من المشاكل التى سوف نعرض لبعض هذه المشكلات:-

1- مشكلة نقص التخطيط والتنسيق :

انتشر النمو والبناء فى المدن بشكل انفجارى ، ومعظم هذا النمو كان يتم بشكل غير مخطط . فالمناطق الرئيسية لكثير من المدن تم بناؤها بشوارع ضيقة ، وعديد من المنازل المتلاصقة مع بعضها البعض . فحينما يتم إقامة حى حول المدن العاصمية ، فإن الأمر يتطلب ضرورة توفير الخدمات أمثل هذه المناطق التى يتم إقامتها فى غفلة من المسئولين كالمدارس والمستشفيات والمواصلات والمياه والكهرباء ... الخ ، وأن عدم التنسيق فى بناء مثل المناطق قد يؤدى إلى عجز الحكومة عن تهيئة الخدمات اللازمة لمثل هذه المناطق .

وكنتيجة للنمو غير المخطط بصورة كبيرة ، فإن مناطق العاصمة اليوم تتجه نحو الإرتباك والتشويش فى شبكات عمل الحكومات المحلية المتدهورة وتداخل مناطق الخدمة ، مثل هذه المناطق لديها عشرات من رؤساء المطافى، ورؤساء الشرطة فقط ، ومديرى المدارس ورؤساء الأحياء ، هذا التداخل والتكرار للخدمات ليس فقط مكلف ، ولكنه أيضاً غير فعال ويخلق مشكلات التنسيق .

2- مشكلة الإسكان Housing Problem :

إن معظم الفقراء فى الولايات المتحدة يعيشون فى المدن ، كما أن معظم الفقراء يقيمون فى مساكن متهالكة ودون المستوى . هذه المساكن ترفضها السرة ذات الدخل المرتفع والعديد منهم تحرك إلى الضواحي ، والمساكن المتهالكة فى المدن الرئيسية المأهولة بالسكان بشكل ضخم حيث يقيم فيها الفقراء وكبار السن وأعضاء الجماعات الأقلية وخاصة الأمريكيين الأفريقيين والأسبان والغالبية منهم غير قادرين على إيجاد البديل ، وتشمل مشكلات السكان عدم توفر التدفئة الكافية فى الشتاء ، وأدوات إضاءة غير صالحه ، ودورات مياه غير صالح أيضا ، الصراصير ، حجرات مزدحمة ، وشبابيك محطمة .

وفى أحد الدراسات الحديثة وجد أن واحد من ثلاثة من كل الأمريكيين حوالي 78 مليون نسمة يقبع فى دائرة الفقر . هذه الوسائل التي تجعلهم مجبرين أو ملزمين لأن يدفعوا أكثر من أجل السكن ، كما لا يوجد مال كاف للطعام وللرعاية الصحية والملابس . ويقدر العلماء الاجتماعيون بأن هؤلاء المواطنين يدفعون حوالي 25% من دخلهم فى الإسكان ، الأمر الذي يجعلهم لا يجدون المال الكافي لإشباع احتياجاتهم الأساسية [1]. وهم فقراء ودخولهم ضئيلة الأمر الذي ينتج عنه أن هناك عدد كبير من السكان ليس لهم مأوى .

ولقد حاولت عديد من المدن فى الستينات والسبعينات وإلى الثمانينات وبداية التسعينات أن تحل مشكلة الإسكان المتدهور بواسطة مشروعات التجديد الحضري ، وكانت تأمل فى أن مشروعات التجديد الحضري سوف تساعد المقيمين ذوى الدخول المنخفضة . ولقد أثارت الوكلات الحكومية مشكلة إنحلال مناطق المدن الرئيسية ، وقامت بنقل السكان المقيمين على

---

[1]) Kornblum and juien, social problems 7th ed p : 437

أماكن أخرى . ولقد باعوا الأراضي على مؤسسات خاصة لكي تقوم ببناء شقق لأصحاب الدخول المنخفضة والمتوسطة ، ولكن بسبب أن هؤلاء أصحاب المؤسسات الخاصة لا يرحبون بناء مساكن رخيصة فإنهم يطمحون لتحقيق منافع أكبر فى بناء المساكن الإدارية ، الشقق الترفيهية " سوبر لوكس Luxury apartmeuts " والمصانع ، كما أن المقيمين السابقين غير قادرين على شراء هذه المساكن فإنهم يتحركون إلى المناطق المتدهورة بالمدينة، وفى عملية انتقال السكان إلى مكان جديد فإن إحساسهم بالمجتمع المحلى يضعف بصورة خطيرة ، إنهم غالباً ما يشعرون بأنهم كانوا مجرد رهائن وضحايا لنظام البلديات ، الكثير منهم يستأصل من الأصدقاء والعائلة والمدارس وتقوم الكنائس بعملية التبني السيكولوجي Psychologically adopted باعتبارها جزء من عالمهم ، الكثير من الذين تم استئصالهم يتحركون إلى مناطق مجاورة قريبة التي تكون مناسبة أو قادرة على تدمير مشروعات التجديد الحضري المستقبلية .

ولقد استجابت الحكومة الفدرالية فى بعض المدن ببناء وحدات سكنية عامة عادة ما تكون شقق مجمعة . ولقد كانت السياسة الفيدرالية قد جعلت المساكن العامة قاصرة على أفقر الفقراء . وغالباً ما ينجح الفقير العامل فى مواجهة الخطوط المؤهلة للمعيشة فى تلك المشروعات الإسكانية . وأن كثير من المشروعات الإسكانية العامة سرعان ما تتحول إلى أحياء فقيرة Slums يقيم بها الناس الذين هم فى حاجة إلى الرعاية ، والأسر ذات العائل الواحد ، والناس العجزة ، ولقد وصف شولدن Choldon المشروعات السكنية

باعتبارها تحتوى على تركيبات ضخمة من الناس الذين يحملون عدد كبير من المشكلات وقدر اقل من النجاح Inovercoming them [1].

ومن المحتمل أن الشيء الوحيد الذي يعد أسوأ من المساكن من المساكن دون المستوى هو عدم وجود مسكن . هذا إذا ما علمنا أن هناك أعداداً كبيرة من الناس لا مأوى لهم فى المدن الكبرى . حيث أن الناس لا مأوى لهم " المشردين " يتجولون فى الأماكن العامة ، وينامون فى الشوارع والمواقف والطرق الفرعية ، وتعد الملاجئ المؤقتة أمر محزن وغير ملائم لمقابلة احتياجاتهم . ففي الشتاء يعيش بعض المشردين فى صناديق كرتونية فى الشوارع . وأن الجهود المبذولة من أجل بناء ملاجئ أكثر غالباً ما تمثل عقبة التي تبدو فى مظاهر احتياج تنظيمات المواطنين الذين لا يريدونهم فى مجتمعاتهم ، وتاريخياً فإن البرامج الحكومية لتحسين عملية الإسكان كان يستفيد منها أصحاب الدخول المتوسطة والعليا ، وأن معظم مساعدات الإسكان الفيدرالي كانت تذهب بصورة مباشرة أو غير مباشرة على المقاولين والطبقات المتوسطة والعليا.

[1]) H.M. Choldin: socialh life and the physical environment, in Handbook of contemporary urban life, ed D. street (san Francisco, C.A.L josey – Bass) 1973, P : 312

3 – الجريمة :

تعد الجريمة بصفة أساسية مشكلة حضرية ، ففي المناطق الريفية وبسبب إن كل فرد يميل إلى أن يعرف كل فرد آخر حتى أعماله فإن الأنشطة غير الشرعية يكون من الصعب كثيراً إخفاؤها ، فحينما يتم اعتقال المذنبين الريفيين فإنهم يواجهون دائماً بالرفض والنبذ ، وفى ضوء العرض السابق فإن عملية التحضر تضعف من الكوابح والضوابط الاجتماعية Social restrint ضد الجريمة المرتكبة ، وتوضح الإحصائيات أن المدن الكبرى أربعة أضعاف جرائم العنف التي ترتكب بالمقارنة بالضواحي الحضرية وإنها تبلغ ستة أضعاف بالمقارنة بالمناطق الريفية ، كما أن جرائم الملكية تنتشر بصورة كبيرة فى المدن الكبرى [1] وليس مدهشا فى أن الخوف من أن يصبح المرء ضحية الجريمة يكون أكثر عمومية فى المدن . كما أن كثيراً من المقيمين فى المدن ينظمون أنشطتهم اليومية لكي يقللوا من فرض كونهم ضحايا للعنف mugged-Conned - مسروقين بالإكراه robbed أو يتعرضون للاغتصاب .

ولقد كشف إحدى الدراسات أن نصف السكان المقيمين بالمدن الكبرى يخافون من التجول خارج المنزل فى الليل بالمقارنة فى أن 2.% من المقيمين بالضواحي الحضرية يخافون من ذلك [2].

ولقد أجريت إحدى الدراسات فى عام 199. أوضحت أن واحداً تقريباً من أربعة شباب من الرجال الأمريكيين الأفريقيين يكون فى الحجز jail أو السجن أو تحت المراقبة أو مطلق سراحه بشروط .

---

[1]) Kornblum Julian: social problems. 7th ed p:420 .

[2]) James w – coleman ponald R. (ressey : social problems 5th ed. (N.Y. Harper Collins. 1993) P. 398 – 399 .

وفى المقابل نجد أن الدراسة كشفت عن أن واحداً من عشرة من الشباب الأسبانيين وأن واحداً من كل ستة عشر شاباً من البيض الرجال يكونون تحت إشراف نظام العدالة الجنائية ، ولقد أجريت الدراسة على شباب يتراوح عمره من عشرين إلى تسع وعشرين عاماً . ومن بين النتائج المدهشة الأخرى أن عدد الشباب الذكور الأمريكيين من أصل افريقى والذين وقعوا فى جرائم ، ويشملهم نظام العدالة الجنائية كان أكبر من مجموع عدد الذكور الأمريكيين من اصل أفريقي المسجلين فى كليات.

ولقد تتبع الباحثون النسبة العالية من الشباب الأمريكي ذو الأصل الأفريقي فى نظام العدالة الجنائية فى خلال الثلاثين عاماً الأخيرة من خلال هؤلاء الأحداث الموجودين فى المدن الباطنية والذين يرفضون فرص الالتحاق بالتعليم أو العمل فهم فقط يقعون فى دائرة اهتمام نظام العدالة الجنائية [1] .

[1]) Charles Zastrow : Social Problems . 4the ed, chcago, Nelson – Hall Inc, 1997 . P. 483 .

4 – النقل transportations :

إن 65 % من ارض الولايات المتحدة الأمريكية مكدسة بالسيارات وأنه فى حالة وجود فراغ فإنه ذلك يكون فى الشوارع والطرق الرئيسية والأماكن المخصصة للمواقف والجراجات ومحطات البنزين وورش الإصلاح والاستخدامات الأخرى . والأمريكيون بصفة عامة مسحورين بالسيارات حيث يسعى المالكون غالباً إلى نوع السيارة التي تعبر جيداً عن شخصياتهم ، وأنه ليس نادراً بالنسبة لسكان الضواحي الحضرية أن يقودوا سياراتهم من خمسين على ستين ميلاً فى أثناء ذهابهم وعودتهم إلى ومن العمل .

كما أن تدفق السيارات يخلق مشكلات هائلة بالنسبة للمدن الرئيسية، وتعد مانهتون Manhatton مركز تجارى فى نيويورك تضج بزحمة المواصلات طوال ساعات النهار . ومشكلات مماثلة فى أثناء ساعات الذروة فى عديد من المدن الأخرى . فالسيارات تعد المصدر الرئيسي لتلوث الهواء وتساهم بشكل أساسي فى مشكلات الضباب والدخان ، كما أن المواقف المزدوجة تعد مشكلة أخرى فى كثير من المدن.

كما أن السائقين يقضون وقتاً أكثر فى البحث عن مكان للوقوف أكثر من الوقت الذي يقضونه فى القيادة إلى المكان المقصود . كما إن مشروعات إصلاح وترميم الشوارع تعد بمثابة إحباط عام لسائقي المدينة. كما أن معدلات حوادث السيارات لدى سائقي المدينة أكبر بكثير مما هو لدى سائقي الريف . فلقد أنشئت الطرق السريعة expressways فى المناطق الفقيرة حيث انخفاض تكلفة الأرض ورصفها . فلقد أتاح إقامة مثل هذه الطرق فرصة الانتقال من منطقة إلى أخرى . وتعد السيارة اكثر راحة ولكنها ذات فاعلية أقل من وسائل النقل. فالسيارة تنقل عدد اقل من الركاب فى حين أن الأتوبيس ينقل عدد أكبر . وكذلك الترام يفوق الأتوبيس ، ومترو الأنفاق ، ففي الساعة

الواحدة تنقل السيارات فى أحد الشوارع حوالي 24.. شخص فى حين تنقل الأتوبيسات حوالي تسعة آلاف شخص ، أما الترام فإنه ينقل حوالي أربعين ألف شخص ، أما الترام السريع ينقل حوالي ستين ألف شخص .

ومن المتوقع أن الشوارع الرئيسية تجلب المتسوقين من الضواحي الحضرية على المدن الرئيسية [1] . وعلى الرغم من أن المقيمين بالمدن يعانون من الازدحام وتلوث الهواء الناتج عن السيارات فإن كثيراً منهم لا يملك راس المال الكافي لشراء سيارة أو صيانة سياراتهم . ومن هنا يجبر هؤلاء السكان على استخدام وسائل النقل العامة ، الأتوبيسات ، ومترو الأنفاق وأنهم غالباً ما يصابون بالإحباط نتيجة التأخير فى إستخدام وسائل النقل العامة.

فنظم النقل العامة الرخيصة تعد أيضاً بمثابة عقبات أمام فرص التعليم والعمالة بالنسبة للمقيمين فى المدن والذين لا يستطيعون الحصول على سيارة . ويعانى الموظفون الرسميون من عدم جاذبية وسائل النقل العامة ، الأمر الذي أدى إلى تزايد السيارات الخاصة ونقصان وسائل النقل العامة حيث إن عديد من وسائل النقل العامة متهالكة ومتدهورة .

والسبب الوحيد يكمن فى المناطق الحضرية أصبحت الآن لا مركزية . حيث قامت الضواحي الحضرية بتطوير مراكز تجاريه خاصة بمراكز الشراء ومناطق الأعمال ، وتطورت أيضاً مراكز الشراء ومناطق الأعمال فى مختلف المناطق بدلا من تركيزها فى قلب المدينة ، ونتيجة ذلك فإن الناس يسافرون بصورة اكثر عشوائية فى المدن .

---

[1]) Charles Zastrow : Social Problems, chciago, Nelson – Hall Inc, 1997 . P . 484 .

5 – التحيز ضد الحضرية :

يوجد دائما فى الولايات المتحدة الأمريكية شعور وإحساس ضد الحضرية ، حيث يوضح الأدب الأمريكي غالباً مدى سحر وفتنة فضيلة الإكتفاء الذاتي للفلاح ، والتي وصفت باعتبارها أمر كائن فى جنة عدن أو الفردوس الزراعي ، حيث الحياة السعيدة والإسترخاء ، والحياة غير المعقدة . والحقيقة هي أن الزراعة أو الفلاحة مهنة شاقة والعمل بها غالباً ما يكون طوال الأسبوع وحالياً بدأ كثير من الفلاحين يعلنون إفلاسهم ، وأن أقل من 3. % من قوة العمل فى أمريكا يعملون بالزراعة [1] .

وتوصف المدنية دائماً باعتبارها أمر متعارض ومتناقض مع العلاقة الطبيعية بين الإنسان والبيئة [2] . ولقد قام جالب Gallup بإلقاء سؤال مشابهة " إذا كنت تستطيع العيش فى أي مكان أنت تريده ، فهل أنت تفضل مدينة a city أم ضاحية حضرية a Suburban area أم بلدة صغيرة small town أم مزرعة [3] Farm ، ولقد احتلت المدينة أدنى نسبة حيث بلغت 13 % فى حين أن المزرعة بلغت 23 % ثم الضاحية الحضرية بلغت 31 % أما البلدة الصغيرة بلغت 32 % " .

إن المعيشة فى الريف تهيئ الخلو من المشاكل ، الهدوء ، صور الفضيلة . ففي الريف يفكر الناس فى انهم قادرون على المعيشة فى انسجام وتوافق مع الطبيعة . أما المدينة فإن لها صورة الإجهاد والضغط وأن بها معدلات عالية للجريمة والمشكلات الأخرى . ويمكن النظر على المدينة باعتبارها مولدة للعلاقات الشخصية ، المنافسة الحادة ، الوحدة والعزلة ، اللامبالاة ، الاتجاهات غير القاطعة نحو الآخرين . وعلى الرغم من الصورة

---

[1]) Coleman and cressey : Problems PP. : 396 – 398 .
[2]) Ficher : Wrban experience. P:21
[3]) I bid p : 21

التي عليها المدينة فإن معظم الأمريكيين يعيشون فى المناطق الحضرية الكبيرة أو بالقرب منها وذلك بسبب فرص العمل والتقدم الثقافى .

6- مشكلة ضبط السكان Population control :

إن الصين – يجبر مواطنيها على أن يكون لدى كل أسرة طفل واحد فقط [1] ، وأن النساء اللاتي تحبلن بعد الطفل الأول تنصح بضرورة أن تسعى للإجهاض ، وهناك حوافز مالية كبيرة للأسر التي لديها طفل واحد مثل زيادة الضرائب المفروضة على الأسر التي لديها أكثر من طفل.

أما فى الهند فمنذ وقت قصير فى السبعينات من القرن العشرين كان لديها سياسة التعقيم الإجباري Involuntary starilization لأي ذكر وأنثى فى سن الإنجاب reproductive age ويكونوا أباء بيولوجيون لثلاثة أطفال أو أكثر[2] .

أن الهدف من مثل هذه السياسات هو الحد من حجم السكان وبواسطة النقصان البطيء للسكان فإن مصادر كثيرة سوف تصبح متاحة لتهيئة مستوى افضل للحياة .

كما أن استراتيجية مواجهة المشكلات فى المدن الكبرى تكمن فى تنظيم النسل أو ضبط السكان . فالمقيمون فى المدن الكبرى يستطيعون أن يتشجعوا لكي يكونوا لديهم طفل واحد فبرامج التربية الجنسية فى المدارس يكمن أن تكون قد توسعت فى تلقين وتعليم مسئولية التربية الجنسية . فالمعلومات المتعلقة بحرية تحديد النسل يمكن أن تقدمها الحكومة . فمن الضروري أن يتم فرض ضرائب كبيرة على الأسر التي لديها أكثر من طفل واحد أو اثنين ، وإذا ما فشل هذا البرنامج فى تقليل حجم السكان فإن التعقيم الإجباري بعد ولادة الطفل الثالث يعد أمراً هاماً جداً .

---

[1]) Fischer : Urban experienew P : 21 .

[2]) Lynnco landman : Brith cerntsolin India : The carrot and the Rod Family planning perspectives 9 May – June 1977 p: 102

إن السياسة البديلة لضبط أو تحديد السكان ترتكز على المستفيدين من خدمات مساعدة العائلات المعتمدة على الأطفال التي تقدمها مؤسسة مساعدة العائلات ذوات الأطفال ، والتي تتطلب شرطاً لكي تستمر بفاعلية فى برامج ضبط المواليد ، حيث إن برنامج ضبط المواليد يعد شيئاً آخر مختلف عن حبوب منع الحمل التي تنسى كثير من النساء أن تتناولها . أحد الأساليب المانعة للحمل هو أسلوب الغرس الذي تأكد فاعليته فى الولايات المتحدة الأمريكية فى التسعينات من القرن العشرين، هذا الغرس يتكون من كبسولات مطاطية من السيكلون الصغير تحتوى على مادة لها فاعلية فى منع الحمل ، هذا الغرس يتم إدخاله بعملية جراحية . وهناك عدة انتقادات لسياسات ضبط السكان منها ان هناك قيم حادة فى ريفنا التي مؤداها الإيمان بان لكل شخص الحق فى ان يكون والداً طبيعياً لأي عدد من الأطفال . وهناك بعض المؤسسات الدينية كما هو الحال فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي تعارض تحديد النسل . فالتعقيم الإجباري ينتهك حرية الاختيار ، كما أن محاولات فرض عملية تحديد حجم العائلات ينتهك الحقوق المدنية المؤسسة فى مجتمعنا.

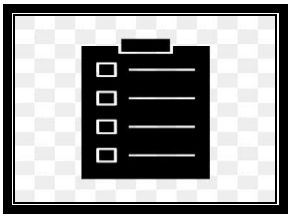

تناول أبرز المشكلات الاجتماعية التي تراها موجودة في المجتمع الذي تعيش فيه سواء كان مجتمع ريفي أو مجتمع حضري ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ضع حلولاً من وجهة نظرك لضبط مشكلة الإسكان في مصر ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

المراجع

- ثانياً : المراجع الأجنبية .
- أولاً : المراجع العربية .

قائمة المراجع :

أولاً المراجع العربية :

1. احمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ، المفهومان ، ط 4 ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

2. احمد الخشاب : التغير الاجتماعى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1971 .

3. أحمد رأفت عبد الجواد : (1983) ، مرجع سابق .

4. احمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع ، القاهرة ، نهضة الشرق ، 1983 .

5. بونوبور : تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرين ، ط 5 ، القاهرة ، دار المعارف 1981 .

6. حسن همام : علم الاجتماع وقضايا فى علم الاجتماع الريفى ، كفر الشيخ ، مطبعة الأصدقاء ، 1997 .

7. سام باسيليوس وآخرون : مبادئ علم الاجتماع الريفى والحضرى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، 1983 .

8. سناء الخولى : التغير الاجتماعى والتحديث ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1985 م .

9. سناء الخولى : مدخل إلى علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 1987 .

10. صلاح العبد : علم الاجتماع التطبيقي وتنمية المجتمع ، القاهرة ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر 1972 .

11. عبد الهادى الجوهرى : مدخل لدراسة المجتمع ، القاهرة : نهضة الشرق ، 1984 .

12. فوزى رضوان : مبادئ علم الاجتماع الريفى والحضرى ، مذكرات جامعية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، 1984 .

13. كمال دسوقى : الاجتماع ودراسة المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية.

14. محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1987 م .

15. محمد عاطف غيث : علم الاجتماع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 1988 .

ثانياً المراجع الأجنبية :

1. Charles Zastrow : Social Problems . 4the ed, chcago, Nelson – Hall Inc, 1997.
2. Charles Zastrow : Socialh Problems, 4th , ed.
3. Claude Fisher : the urban experince, N.Y : Harcourt Brace Jovanouich, 197..
4. D. Bouge : principle of Demography, N.Y wiley, 1969.
5. Fischer : Urban experienew.
6. George simmel : the Metropolis and Mental life, in Neighborhood city and Metropolis, ed R. Gutman and D. popenoe (N.Y: Random House, 197.).
7. H.M. Choldin: socialh life and the physical environment, in Handbook of contemporary urban life, ed D. street (san Francisco, C.A.L josey – Bass) 1973.
8. Herbert J. cans : urbanism and suburbanism as a way of life A Reevaluation of definitions in Guman and popenpme, Neighbrhook, city and Metroplis. N. Y. Random House 197..
9. James w – coleman ponald R. (ressey : social problems 5th ed. (N.Y. Harper Collins. 1993).
10. Josef Gugler and William, G. Elanagen, " Urbanization and Social change in West

Africa, U.S.A Combridge University press, 1978.

11. Kornblum and juien, social problems 7th ed .
12. Kornblum Julian: social problems. 7th ed.
13. Louis Wirth : Urbanism as a way of life, American Journal of sociology, (july 1938 ; 1-24.).
14. Lynnco landman : Brith cerntsolin India : The carrot and the Rod Family planning perspectives 9 May – June 1977 .
15. Mannel Gastells, "Theory in Urban Sociology" .. in C.G. Pick Vance, "Urban Sociology. Critical essays", London : Tavistocks Publications Ltd, 1977.
16. Marshall, B. Clinard : "Sociology of Deviant Behaviour", N.Y. Holt, Rinhart Winston. 1961.
17. Paul B. Horton, Gerald R. Leslie and Richard F. Larson : the sociology of social problems 1.th , ed (Englewood F. Larson : the sociology of social problems, 1.th , ed (Englewood cliffs N.Y : prentice, Hall,) 1991.
18. William Karnblum and josrph julian : social problems, 1 th ed Englewood cliffs, N.Y. Prentice 1992.